الابتلاء

تطهير ونعمة من رب الأرض والسماء

للشيخ

هاني سعد عنيم

الابْتِلاءُ

تَطْهِيرٌ وَنِعْمَةٌ مِنْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ

للشيخ هَانِيْ سَعد عُنيم

الإِهْدَاءُ

إِلَى كُلِّ صَاحِبِ مَرَضٍ عُضَالٍ؛ فَلَنْ تَجِدَ أَشَدَّ مِنَ المَرَضِ إِيلاَمًا.. إِلَى صَاحِبِ هَذَا الابْتِلاَءِ أَسِيرِ المسْتَشْفَيَاتِ عَلَى الأَسِرَّةِ البَيْضَاءِ، وَكُلُّهُ أَمَلٌ وَرَجَاءٌ فِي رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، بَعْدَ صَرَاعٍ طَوِيلٍ مَعَ المَرَضِ وَعَنَاءٍ وَصُحْبَةِ الأَشْقِيَاءِ، إِنَّهُ يَطْمَعُ -الآنَ- فِي مَغْفِرَةِ رَبِّهِ؛ لِيَكُونَ مِنَ السُّعَدَاءِ.

إِلَى كُلِّ مُبْتَلًى ابْتَلاَهُ رَبُّهُ، عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ وَاشْتَدَّ بَلاؤُهُ، فَتَابَ إِلَى رَبِّهِ وَصَبَرَ وَشَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، أُوَجِّهُ إِلَيْهِ رِسَالَتِي هَذِهِ؛ لِيَزْدَادَ إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِ، فَهُوَ يَعْلَمُ -يَقِيْنًا- أَنَّ ذُنُوبَهُ لَوْ بَلَغَتْ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ مَوْلاَهُ غَفَرَ لَهُ خَطَايَاهُ، وَأَنَّ ابْتِلاءَهُ مَهْمَا تَخُنَ (اشْتَدَّ) فَهُوَ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ وَتَطْهِيرٌ؛ حَتَّى يَنْقَلِبَ إِلَى رَبِّهِ مَسْرُورًا.

وَإِلَى كُلِّ مُبْتَلًى ابْتَلاَهُ رَبُّهُ، حَتَّى وَصَلَ بِهِ الحَالُ وَالمآلُ إِلَى دَرَجَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الضِّيْقِ وَالشِّدَّةِ، حَتَّى أَوْشَكَ أَنْ يَيْأَسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، أَقُولُ لَهُ بِمِلْءِ فَمِي نَاصِحًا نَفْسِي وَإِيَّاهُ: لاَ.. لاَ تَيْأَسَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ؛ فَإِنَّ كُلَّ قَانِطٍ يَائِسٍ ضَالٌّ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ}[الحِجْر 56]

وَأَخِيرًا.. إِلَى شَقِيقَتِي الكُبْرَى هَنَاء سَعْد.. الَّتِي ابْتُلِيَتْ ابْتِلاءً شَدِيدًا بِمَرَضٍ مُؤْلِمٍ، فَصَارَ عَنْهُ بِقُوَّةٍ وَصَبْرٍ وَإِيمَانٍ؛ وَلَكِنَّ المَوْتَ كَانَ إِلَيْهَا أَسْرَعَ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَتَقَبَّلَهَا فِي الصَّالِحِينَ، وَيَرْحَمَهَا وَيَرْحَمَ مَوْتَى المسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ.

وَأَقُولُ لَكَ نَاصِحًا: ارْجِعْ وَتُبْ وَالْزَمْ طَرِيقَ المُتَّقِينَ، فَادْعُ اللهَ الثَّبَاتَ عَلَى الإِسْلاَمِ الَّذِي هَدَاكَ اللهُ إِلَيْهِ، كَانَ الشَّافِعِيُّ/ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِهِ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ هَدَيْتَنِي إِلَى الإِسْلاَمِ دُونَ أَنْ أَسْأَلَكَ؛ فَاهْدِنِي إِلَى الجَنَّةِ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ؛ فَالصَّبْرُ طَرِيقُ الجَنَّةِ.. وَاهْتَدِ بِهَدْيِ نَبِيِّكَ الأَمِينِ صلى الله عليه وسلم وَاثْبُتْ عَلَى ذَلِكَ؛ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ (الموت)؛ تَنْجُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ بِرَحْمَةِ اللهِ العَلِيمِ.

مُقَدّمَةُ الدُّكْتُورِ مُحَمَّد السّيّد مُوسَى .حَفِظَهُ اللهُ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَبَعْد.. فَإِنَّ البَلاَءَ ذَكَرَهُ الدَّامغَانِي فِي الوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ يَقَعُ عَلَى وَجْهَيْنِ: النِّعْمَة كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاَء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} [البقرة 49] أَيْ: فِي نَجَاتِهِمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَالوَجْه الثَّانِي: الاخْتِبَار كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفْ وَالجُوعِ وَنَقْص مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة 155] أَيْ: لِنَخْتَبِرَكُمْ.

وَالمؤْمِنُ الحَصِيفُ ذُو القَلْبِ الأَرِيبِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَسَّبَ مِنْ أَحْوَالِ حَيَاتِهِ المخْتَلِفَةِ؛ فَيَغْتَنِمِ السَّرَاءَ وَالضَّرَّاءَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، فَعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم [1] «عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

وَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ ت: (مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهُ دُنْيَاهُ فَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مُكِرَ بِهِ؛ فَهُوَ مَخْدُوعٌ فِي عَقْلِهِ).

وَالأَخُ الكَرِيمُ الأُسْتَاذُ/ هَانِي غُنَيْم.. جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا .. وَقَفَ عَلَى هَذِهِ المعَانِي فِي كِتَابِهِ المبَارَكِ: (الابْتِلاَءُ تَطْهِيرٌ وَنِعْمَةٌ مِنْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ) الَّذِي جَمَعَ فَأَوْعَى؛ وَأَفَاضَ فَأَوْفَى؛ مُسْتَشْهِدًا بِآيَاتِ الذِّكْرِ الحَكِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَحَسْبَ القَارِئِ أَنْ يُطَالِعَهُ فَيَنْشَرِحَ صَدْرُهُ، وَيَرْضَى بِقَضَائِهِ، وَيَشْكُرَ لِنَعْمَائِهِ.. أَسْأَلُ اللهَ العَلِيَّ القَدِيرَ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنْهُ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ. آمِينَ، وَأَرْجُو أَلاَّ يَنْسَانَا مِنْ خَالِصِ دُعَائِهِ.

دُكْتُور/ **مُحَمَّد السّيّد مُوسَى**
كُلِّيَّةِ التَّرْبِيَةِ بِالمنْصُورَةِ
فِي يَوْمِ الأَحَدِ 19 مِنْ رَجَب 1427هـ
المُوَافِقَ 13 مِنْ أَغُسْطُس 2006مـ

---

[1] () (صحيح): أحمد 18455، مسلم 2999.

مُقَدّمَة المؤلِّفِ

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم عَـادَ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ؛ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ[1]، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم[2]: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟! قَالَ: نَعَمْ؛ كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ: سُبْحَانَ اللَّـهِ لا تُطِيقُهُ أَوْ لا تَسْتَطِيعُهُ أَفَلا قُلْتَ: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}؟!» قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَاهُ، وَهذا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق ا: لإِنْ أُعَافَ فَأَشْكُرَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَأَصْبِرَ، وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم[3]: «وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا. » فَالشُّكْرُ سَبَبٌ عَظِيمٌ لِدَوَامِ النِّعَمِ الْمَوْجُودَةِ، وَالدُّعَاءُ سَبَبٌ مُهِمٌّ لاسْتِجْلاَبِ النِّعَمِ الْمَفْقُودَةِ.

وَأَحْسَنُ الْكَلاَمِ فِي الشَّكْوَى سُؤَالُ الْمَوْلَى كَشْفَ الْبَلْوَى، فَاسْتَدْفِعُوا أَمْوَاجَ الْبَلاَءِ بِالتَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ أَكْرَم عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ، «فَأَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجِزَ عَنِ الدُّعَاءِ» كَمَا قَالَ سَيِّدُ الأَتْقِيَاءِ [4] وَلاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ؛ فَأَكْثِرُوا مِنَ الدُّعَاءِ وَالْمُنَاجَاةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ نَادَاهُ، وَمَنْ سَأَلَ اللهَ بِصِدْقٍ كَشَفَ عَنْهُ بَلْوَاهُ وَحَمَاهُ وَوَقَاهُ، وَحَقَّقَ لَهُ سُؤْلَهُ وَمُنَاهُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! قُلْ: بَلَى وَأَنْتَ مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ؛ فَادْعُ لِنَفْسِكَ وَلِلْمُسْلِمِينَ -دَائِمًا- بِالْعَفْوِ وَالْمُعَافَاةِ فِي الدِّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَانْتَبِهْ -أَيُّهَا الْمُفْضَالُ- فَلاَ تَدْعُ عَلَى نَفْسِكَ وَإِخْوَانِكَ وَأَحْبَابِكَ بِالسُّوءِ، فَرُبَّمَا يُوَافِقُ الدُّعَاءُ سَاعَةَ إِجَابَةٍ؛ وَلَكِنْ إِذَا مَا قَدَّرَ اللَّهُ الابْتِلاَءَ وَحَلَّ بِكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ وَضَعْتَ قَدَمَكَ الآنَ فِي أَوَّلِ طَرِيقِ الأَنْبِيَاءِ؛ فَمَا مِنْ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ إِلاَّ وَابْتُلِيَ فِي أَهْلِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ وَكَذَّبَهُ قَوْمُهُ؛ يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ/ فِي كِتَابِهِ الْقَيِّمِ (الْفَوَائِدِ): أَيْنَ أَنْتَ؟! وَالطَّرِيقُ: طَرِيقُ تَعِبَ فِيهِ آدَمُ، وَنَاحَ لأَجْلِهِ نُوحٌ، وَرُمِيَ فِي النَّارِ الْخَلِيلُ، وَاضْطُجِعَ لِلذَّبْحِ إِسْمَاعِيلُ، وَبِيعَ يُوسُفُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ، وَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ، وَنُشِرَ بِالْمِنْشَارِ زَكَرِيَّا، وَذُبِحَ السَّيِّدُ

---

1 () مثل الفرخ: ضعيف الجسم من شدة المرض.

2 () (صحيح): مسلم 2688، وروى بَعضَهُ البخاري 4522.

3 () (حسن): الترمذي 3502، صحيح الجامع 1268.

4 () (صحيح): صحيح الجامع 1044.

الحَصُورُ يَحْيَى، وَقَاسَ الصُّرَّ أَيُّوبُ، وَزَادَ عَلَى المِقْدَارِ بُكَاءُ دَاوُدَ، وَسَارَ مَعَ الوَحْشِ عِيْسَى، وَعَالَجَ الفَقْرَ وَأَنْوَاعَ الأَذَى مُحَمَّدٌصلى الله عليه وسلم.

لِذَا فَاعْلَمْ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- أَنَّ سُنَّةَ الابْتِلاَءِ مِنْ سُنَنِ اللهِ فِي كَوْنِهِ، وَهِيَ وَاقِعَةٌ لاَ مَحَالَةَ؛ لِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ؛ لِيَتَمَيَّزَ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الطَّاغُوتَ، قِيلَ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى[1]: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ لِلرَّجُلِ: أَنْ يُمَكَّنَ لَهُ أَوْ يُبْتَلَى! فَقَالَ: لاَ يُمَكَّنُ لَهُ حَتَّى يُبْتَلَى؛ فَاقْرَأْ مَا شِئْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة 24] فَإِذَا أَرَدْتَ الإِمَامَةَ فِي الدِّينِ وَالتَّمْكِينِ فَاصْبِرْ للهِ تَعَالَى!.

وَلَقَدْ كَانَ أَوَّلَ المُبْتَلَيْنِ فِي هَذِهِ الدُّنيَا أَبُونَا آدَمُ وَأُمُّنَا حَوَّاءُ عِنْدَمَا أَغْوَاهُمَا الشَّيْطَانُ فَأَكَلاَ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، فَاعْتَرَفَا بِظُلْمِهِمَا، وَطَلَبَا مِنْ رَبِّهِمَا غُفْرَانَ ذَنْبِهِمَا، فَقَالاَ: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف 23]

ثَبَّتَكَ اللهُ وَحَفِظَكَ وَآوَاكَ وَصَبَّرَكَ وَرَعَاكَ، وَأَجْزَلَ لَنَا وَلَكَ الثَّوَابَ وَالعَطَاءَ، وَإِلَى مَادَّةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، نَفَعَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ بِهَا، وَلاَ يَسَعُنِي إِلاَّ أَنْ أَدْعُوَ لأَخِي وَصَدِيقِي الصَّدُوقِ/ عِمَاد حَسَن أَبُو العَيْنَيْنِ؛ عَلَى مَا قَدَّمَهُ مِنْ تَعَاوُنٍ فِي إِخْرَاجِ هَذَا الكِتَابِ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرَ الجَزَاءِ..وَرَاجِيًا المَوْلَى -جَلَّ وَعَلاَ- أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ كُلُّ مَنْ يَقْرَؤُهُ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِي؛ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

الفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ القَدِيرِ
هَانِي سَعْد غُنَيْم

[1] () (زاد المعاد) لابن القيم رحمه الله..

الابْتِلاَءُ لُغَةً

فِي هَذَا البَابِ نُلْقِي الضَّوْءَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- عَلَى المَعْنَى اللُّغَوِيِّ لِكَلِمَةِ: الابْتِلاَءِ، فَمَعْرِفَةُ المَعْنَى اللُّغَوِيِّ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ، وَمِنْ خِلاَلِ هَذَا المَعْنَى يَسْتَطِيعُ الإِنْسَانُ أَنْ يَقِفَ عَلَى مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ لَمْ تَكُنْ فِي الحُسْبَانِ، وَلاَ سِيَّمَا وَقَدْ ضَاعَتِ اللُّغَةُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِي أَهْلِهَا، فَعِنْدَمَا يَعْلَمُ الإِنْسَانُ أَنَّ لِلابْتِلاَءِ عِدَّةَ مَعَانٍ مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ لاَ الحَصْرِ: الإِنْعَامُ وَالإِحْسَانُ وَالاجْتِهَادُ وَالاخْتِبَارُ، فَيَسْعَدُ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ؛ فَالابْتِلاَءُ يَكُونُ فِي الشَّرِّ وَالخَيْرِ مَعًا، إِذًا..فَالمَعْنَى اللُّغَوِيُّ مُهِمٌّ جِدًّا.

أَقُولُ: بَلَوْتُ الرَّجُلَ بَلْوًا وَبَلاَءً وَبَلْوَى وَبَلِيَّةً وَبِلْوَةً وَبِلْيَةً[1] وَهَذِهِ الكَلِمَاتُ مَعْنَاهَا: المِحْنَةُ الَّتِي تَنْزِلُ بِالمَرْءِ أَوِ الاخْتِبَارُ، وَبَلاَهُ يَبْلُوهُ بَلْوًا، أَيْ: جَرَّبَهُ وَاخْتَبَرَهُ وَعَرِفَهُ، وَابْتَلاَهُ اللَّهُ: امْتَحَنَهُ وَاخْتَبَرَهُ، أَبْلاَهُ اللهُ، وَيُبْلِيهِ اللَّهُ بَلاَءً حَسَنًا أَيْ: صَنَعَ بِهِ صُنْعًا جَمِيلاً، قَالَ اللهُ: {وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاَءٌ مُّبِينٌ} [الدخان 33]، البَلاَءُ فِي الآيَةِ: الإِنْعَامُ البَيِّنُ، وَفِي الحَدِيثِ[2]: «مَنْ أَبْلِي فَذَكَرَ فَقَدْ شَكَرَ» أَبْلِي: أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَفِي حَدِيثِ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ[3]: مَا عَلِمْتُ أَحَدًا أَبْلاَهُ اللهُ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي.. أَبْلاَهُ: أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَمِنْ كَلاَمِ العَرَبِ فِي الابْتِلاَءِ قَوْلُ زُهَيْرٍ:

فَعَلاَ بِكُمْ ... وَأَبْلاَهُمَا خَيْرَ البَلاَءِ الَّذِي يَبْلُو

والمعْنَى فِي البَيْتِ أَيْ: صَنَعَ بِهِمَا خَيْرَ صَنِيعٍ. وَالابْتِلاَءُ يَكُونُ فِي الشَّرِّ وَالخَيْرِ مَعًا مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ، قَالَ اللَّهُ: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء 35]، قَالَ القُتَيْبِيُّ: يُقَالُ -غَالِبًا- فِي الخَيْرِ: أَبْلَيْتُهُ إِبْلاَءً، وَيُقَالُ فِي الشَّرِّ: بَلَوْتُهُ بَلاَءً، وَالبَلاَءُ الاجْتِهَادُ أَوِ العَمَلُ الحَسَنُ، أَقُولُ: أَبْلَى فُلاَنٌ بَلاَءً حَسَنًا، وَفِي حَدِيثِ

---

1 () راجع اللسان، المعجم الوجيز، مادة بلى.

2 () (صحيح): أبو داود 4814، صحيح الجامع 5933.

3 () (صحيح): البخارى 4678، مسلم 2769.

سَعْدِ يَوْمَ بَدْرٍ[4]: «عَسَى أَنْ يُعْطَى هَذَا مَنْ لاَ يُبْلِي بَلاَئِي» أَيْ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِي، وَأَنْشَدَ ابنُ الأَعْرَابِيِّ:

مَا لِي أَرَاكَ قَائِمًا وَأَنْتَ قَدْ قُمْتَ مِنَ
تُبَالِي الهُزَالِ؟!

وَالابْتِلاَءُ: البَيَانُ، فَأَقُولُ: أَبْلَيْتُ فُلاَنًا عُذْرًا، أَيْ: بَيَّنْتُ وَجْهَ العُذْرِ؛ لأُزِيلَ عَنِّي اللَّوْمَ، وَأَبْلاَهُ عُذْرًا، أَي: أَدَّاهُ إِلَيْهِ فَقَبِلَهُ..وَمِنْ مَعَانِيهِ أَيْضًا الحَلِف إِذَا قُلْتُ: أَبْلَيْتُ الرَّجُلَ أَي: أَحْلَفْتهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهم:

تُبَغِّي أَبَاهَا فِي وَأَوْدَى بِهِ فِي لُجَّةٍ
الرِّفَاقِ وَتَبْتَلِي البَحْرِ تَمْسَحُ

أَي: تَسْأَلُهُمْ أَنْ يَحْلِفُوا لَهَا وَتَقُولُ لَهُمْ: نَاشَدتُكُمُ اللهُ هَلْ تَعْرِفُونَ لأَبِي خَبَرًا؟! وَيَأْتِي بِمَعْنَى: الإِرَادَةِ وَالقَصْدِ، فَفِي الحَدِيثِ: إِنَّمَا النَّذْرُ مَا ابْتُلِيَ بِهِ وَجْهُ اللهِ، أَي: أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ وَقُصِدَ، وَحَسْبُنَا مِنَ المعَانِي مَا ذَكَرْنَاهُ..

[4] () (صحيح): مسلم 1748، أبو داود 2740، الترمذي 3079.

الابْتِلاءُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ

الأَصْلُ فِي الدُّنْيَا هُوَ الابْتِلاَءُ

اعْلَمْ -زَادَكَ اللهُ عِلْمًا وَفَضْلاً وَصَبْرًا- أَنَّ الأَصْلَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الابْتِلاءُ وَالمُكَابَدَةُ وَالشَّقَاءُ، قَالَ اللهُ الوَاحِدُ الأَحَدُ فِي سُورَةِ البَلَدِ: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ} [البلد 4] وَلَمْ يَقُلْ: مُكَابِدًا؛ وَإِنَّمَا فِي كَبَدٍ، نَقُولُ مَثَلاً: يَعِيشُ السَّمَكُ فِي المَاءِ. أي: مَغْمُورٌ فِي المَاءِ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى أَخْمُصِ قَدَمَيْهِ، وَأَنْتَ -كَذَلِكَ- مَغْمُورٌ فِي الشَّقَاءِ وَالمُعَانَاةِ، فلا مَفَرَّ مِنَ الانْغِمَاسِ فِيهِمَا، وَكَبَد فِي الآيَةِ مَعْنَاهَا: يَشْقَى وَيُعَانِي وَيُكَابِدُ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَشَدَائِدَ الآخِرَةِ، قَدْ فِي الآيَةِ: حَرْفُ تَحْقِيقٍ؛ لِتَحَقُّقِ وُقُوعِ المَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ، وَهَذَا دَلِيلٌ ثَانٍ مِنَ القُرْآنِ؛ يُؤَكِّدُ لَكَ وُقُوعَ الابْتِلاءِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ} [الإنسان 2] انْظُرْ إِلَى قَوْلِ رَبِّكَ: {نَبْتَلِيهِ} أَيْ: نَخْتَبِرُهُ وَنَمْتَحِنُهُ، فَهَذَا أَمْرٌ وَاقِعٌ لا مَحَالَةَ، فَقَدْ يَنْعَمُ الإِنْسَانُ وَيَسْعَدُ، وَلَكِنَّ النَّعِيمَ وَالسَّعَادَةَ شَيْئَانِ طَارِئَانِ غَيْرُ دَائِمَيْنِ، يَسْعَدُ الإِنْسَانُ بِأَوْلادِهِ، ثُمَّ يُفَارِقُهُم أَوْ يُفَارِقُونَهُ قَبْلَهُ، وَيَنْعَمُ الإِنْسَانُ بِمَالِهِ الكَثِيرِ ثُمَّ يَتْرُكُهُ لِمَنْ يَرِثُهُ أَوْ يُضَيِّعُهُ، وَيَفْرَحُ الإِنْسَانُ بِمَنْصِبِهِ الكَبِيرِ، ثُمَّ يُفَارِقُهُ إِلَى لِقَاءِ مَوْلاهُ، وَرُبَّمَا يَكُونُ هَذَا المَنْصِبُ سَبَبًا فِي دُخُولِهِ النَّارَ.. عَجِيبٌ أَمْرُ هَذَا الإِنْسَانِ؛ فَكَمْ يَفْرَحُ الإِنْسَانُ -كَثِيرًا- بِأَشْيَاءَ؛ رُبَّمَا تَهْوِي بِهِ إِلَى الهَاوِيَةِ! وَالعِيَاذُ بِاللهِ، إِذًا.. السَّعَادَةُ وَالنَّعِيمُ غَيْرُ مُؤَصَّلَيْنِ.

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ ... وَاعْلَمْ بِأَنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
وَتَجَلَّدِ ... إِنْ كُنْتَ تُنْوبُ اليَوْمَ تُكْشَفُ فِي غَدِ
اصْبِرْ كَمَا صَبَرَ الكِرَامُ ... فَذْكُرْ مُصَابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ
فَإِنَّهَا ...
وَإِذَا أَتَتْكَ مُصِيبَةٌ يُرْثَى لَهَا ...

النَّعِيمُ الحَقِيقِيُّ هُوَ نَعِيمُ الجَنَّةِ الخَالِدُ العَظِيمُ

فَالنَّعِيمُ الحَقِيقِيُّ وَالأَبَدِيُّ هُوَ نَعِيمُ الجَنَّةِ الخَالِدُ العَظِيمُ، الَّذِي أَعَدَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ المُتَّقِينَ الصَّابِرِينَ الحَامِدِينَ رَبَّهُم وَالشَّاكِرِينَ، قَالَ اللهُ: {إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار 13-14] فَالأَبْرَارُ فِي نَعِيمٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، أَمَّا الفُجَّارُ فَهُمْ فِي جَحِيمٍ فِي الدُّنْيَا

وَالآخِرَةِ، فَشَيَّانَ شَيَّانَ بَيْنَ الأَبْرَارِ وَالفُجَّارِ, بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبَيْنَ النَّعِيمِ وَالجَحِيمِ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم[1]: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ المُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» إِذًا.. النَّعِيمُ فِي الجَنَّةِ، وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا تَشْقَى، وَإِلَيْكَ دَلِيلاً قُرْآنِيًّا آخَرَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ اللهُ نَاصِحًا آبَانَا آدَمَ عليه السلام وَإِنَّهَا لَكَرَامَةٌ؛ أَنْ يَتَحَدَّثَ اللهُ إِلَى أَبِينَا آدَمَ: {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} [طه 117] وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى: {اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} [البقرة 35] فَلَفْظَةُ: اسْكُنْ، تُوحِي بِأَنَّهُ سَيَخْرُجُ يَوْمًا مَا؛ لأَنَّ الَّذِي يَسْكُنُ مَكَانًا لابُدَّ وَأَنْ يَتَحَوَّلَ عَنْهُ، وَهُوَ -فِي الغَالِبِ-لا يَمْلِكُهُ، وَدُخُولُ آدَمَ وَحَوَّاءَ الجَنَّةَ كَانَ دُخُولَ سُكْنَى لا دُخُولَ إِقَامَةٍ، كَمَا قَالَ الإِمَامُ القُرْطُبِي فِي تَفْسِيرِهِ؛ لِذَلِكَ وَصَفَ اللهُ نَعِيمَ الجَنَّةِ بِأَنَّهُ نَعِيمٌ مُقِيمٌ: {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ} [التوبة 21] أَيْ: إِقَامَةٌ خَالِدَةٌ (خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ) فَالعَذَابُ عَذَابٌ مُقِيمٌ: {وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} [التوبة 68] أَيْ: (خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ) قَالَ اللهُ فِي شَأْنِهِم: {إِنَّكُم مَّاكِثُونَ} [الزخرف 77] وَلَمْ يُقُلْ: (إِنَّكُم سَاكِنُون) إِذًا.. مِنْ خِلالِ فَهْمِنَا لِلآيَةِ الكَرِيمَةِ الأُولَى: {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} [طه 117].

نَجِدُ أَنَّ النَّعِيمَ فِي الجَنَّةِ، أَمَّا خَارِجَهَا فَهُوَ الشَّقَاءُ بِعَيْنِهِ، وَلَفْظَةُ الإِشَارَةِ (هَذَا) عَائِدَةٌ عَلَى الشَّيْطَانِ؛ فَاحْذَرْهُ، إِنَّهُ عَدُوُّكَ، هَكَذَا حَذَّرَكَ اللهُ مِنْهُ؛ فَلا تَجْعَلْ لَهُ عَلَيْكَ سَبِيلاً.. نَلْحَظُ شَيْئًا عَجِيبًا آخَرَ فِي الآيَةِ، حَيْثُ قَالَ مَوْلانَا: (فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا) بِأَلِفِ الاثْنَيْنِ، فَالخُرُوجُ كَانَ لِلاثْنَيْنِ مَعًا (آدَم وَحَوَّاء) وَقَالَ بَعْدَهَا: (فَتَشْقَى) بِضَمِيرِ المُفْرَدِ المُخَاطَبِ؛ قَاصِدًا -بِالشَّقَاءِ- الرَّجُلَ، فَالرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَسْعَى وَيَعْمَلُ مِنْ أَجْلِ تَوْفِيرِ رِزْقِهِ وَرِزْقِ أَوْلادِهِ، أَمَّا الزَّوْجَةُ فَمَكَانُهَا الطَّبِيعِيُّ هُوَ البَيْتُ، لإِخْرَاجِ أُسْرَةٍ مُؤْمِنَةٍ مُوَحِّدَةٍ. وَاعْلَمْ أَنَّ دُخُولَ الجَنَّةِ عَنْ تَكْرِيمٍ مِنْهُ لِلخُرُوجُ! فَقَدْ دَخَلَ أَبُونَا آدَمُ وَأُمُّنَا حَوَّاءُ الجَنَّةَ مُكَرَّمَيْنِ، وَأَمَّا دُخُولُ الجَنَّةِ عَنْ تَكْلِيفٍ فَلا خُرُوجَ بَعْدَهُ، فَأَبْشِرْ أَيُّهَا المُوَحِّدُ، وَسَلْ رَبَّكَ الجَنَّةَ وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا

---

[1] () (صحيح): صحيح الجامع 73.

دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود 106-108]

تَعَدُّدُ الابْتِلاَءَاتِ؛ ليَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

إِذًا.. لابُدَّ مِنْ حُدُوثِ فَوَارِقَ بَيْنَ النَّاسِ؛ حَتَّى يَمِيزَ اللهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلِيُمَحِّصَ المُؤْمِنَ الصَّابِرَ مِنَ المُعَانِدِ الكَافِرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا} [المائدة 48] فَهَذَا غَنِيٌّ وَهَذَا فَقِيرٌ، وَهَذَا صَحِيحٌ وَهَذَا مَرِيضٌ، وَكِلاَهُمَا مُبْتَلَى، قَالَ اللهُ: {وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء 35] وَهَذَا مُبْتَلَى فِي رِزْقِهِ؛ وَالابْتِلاَءُ فِي الرِّزْقِ ابْتِلاَءٌ قَوِيٌّ عَلَى بَعْضِ النُّفُوسِ البَشَرِيَّةِ، فَالنَّاسُ تَجْزَعُ وَتَفْزَعُ كَثِيرًا إِذَا أَصَابَهَا فَقْرٌ، وَيَغِيبُ عَنْ أَذْهَانِهَا أَنَّ فَقِيرَ اليَوْمِ هُوَ غَنِيُّ الغَدِ؛ وَغَنِيَّ الغَدِ هُوَ فَقِيرُ الأَمْسِ، وَأَنَّ المَالَ مُتَدَاوَلٌ بَيْنَ أَيْدِيهِم، وَأَنَّنَا سَنَتْرُكُهُ كُلَّهُ ثُمَّ نُحَاسَبُ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ، مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْنَاهُ، وَفِيمَ أَنْفَقْنَاهُ؟! وَهَذَا مُبْتَلَى فِي زَوْجَةٍ غَيْرِ مُطِيعَةٍ، وَآخَرُ مُبْتَلَى فِي ابْنٍ عَاقٍّ أَوْ مُعَاقٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَبْتَلِي الإِنْسَانَ فِي أَعْلَى مَا يَمْلِكُهُ الإِنْسَانُ فِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ وَثَمَرِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة 155-157] مُصِيبَةٌ أَتَتْ نَكِرَةً لِعُمُومِهَا؛ فَكُلُّ مَا يَسُوءُ المُؤْمِنَ مَهْمَا صَغُرَ فَهُوَ مُصِيبَةٌ يَسْتَوْجِبُ مِنْهُ الاسْتِرْجَاعَ، فَيَا أَيُّهَا المُبْتَلَى أَبْشِرْ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ} اللَّهُ يُصَلِّي عَلَيْكَ، أَيْ: يَغْفِرُ لَكَ وَيَرْحَمُكَ، رَحْمَةً بَعْدَ رَحْمَةٍ وَيُخْبِرُنَا أَنَّكَ مِنَ المُهْتَدِينَ، أَيْ: مِنَ المُهْتَدِينَ إِلَى الاسْتِرْجَاعِ؛ لِيَصِيرَ مِنْ أَصْحَابِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ فَهَذَا هُوَ طَرِيقُ الأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَرُبَّمَا تَكُونُ مِنْ هَذَا النَّفَرِ القَلِيلِ؛ لِذَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فِي تَفْسِيرِ[1]: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ} نِعْمَ العِدْلاَنِ وَنِعْمَتْ العِلاَوَةُ؛ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِهِ عَلَى هَذَا الأَثَرِ: العِدْلاَنِ الصَّلَوَاتُ وَالرَّحْمَةُ، وَذِكْرُ الرَّحْمَةِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ أَفَادَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ، والعِلاَوَةُ هِدَايَةُ اللهِ لَهُ: {وَأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ} أَيْ: فَقَدْ حَصَلُوا

[1] () راجع تفسير ابن كثير، سورة البقرة 157.

عَلَى ثَـوَابِهِمْ وَزَادَهُـمُ اللـهُ عَلَيْـهِ، فَرَحْمَـةُ اللـهِ أَوْسَـعُ مِمَّـا يَتَصَوَّرُ الْعَبْدُ، لِذَا.. تَكَرَّرَ المعْنَى بِاخْتِلَافِ اللَّفْظِ لِلتَّأْكِيدِ.

آدَابُ الابْتِلاَءِ

الصَّبْرُ رِزْقٌ عَظِيمٌ

الابْتِلاَءُ تَطْهِيرٌ وَنِعْمَةٌ مِنْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، هَكَذَا عَنْوَنْتُ هَذَا الكِتَابَ، والابْتِلاَءُ لَهُ آدَابٌ؛ وَأَعْظَمُ آدَابِ الابْتِلاَءِ الصَّبْرُ، وَالصَّبْرُ رِزْقٌ عَظِيمٌ، يُنْعِمُ اللهُ بِهِ عَلَى عَبْدِهِ؛ فَاللهُ قَسَّمَ الأَخْلاَقَ كَمَا قَسَّمَ الأَرْزَاقَ، قَالَ حَافِظُ إِبْرَاهِيم شَاعِرُ النِّيلِ:

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً ... اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ
مَحْمُودَةً فَقَدْ

فَقُلْ: الحَمْدُ لله عَلَى هَذَا الرِّزْقِ المُبَارَكِ، قَالَ شَقِيقُ البَلْخِيُّ: نَحْنُ قَوْمٌ إِذَا ابْتُلِينَا صَبَرْنَا، وَإِذَا أُعْطِينَا شَكَرْنَا.

وَإِنْ عَظُمَتْ ... وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ القَوْمِ بِالنِّعَمِ
قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بِالبَلْوَى

فَلَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يُرْزَقُهُ؛ وَمَنْ عَظِيمِ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ جَعَلَ مَعَ كُلِّ عُسْرٍ يُسْرَيْنِ، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ[1]: (كَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ يَذْكُرُ لَهُ جُمُوعًا مِنَ الرُّومِ وَمَا يَتَخَوَّفُ مِنْهُم، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَهْمَا يَنْزِلْ بِعَبْدٍ مُؤْمِنٍ مِنْ شِدَّةٍ يَجْعَلِ اللهُ بَعْدَهَا فَرَجًا؛ إِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح 5-6] قَالَ ثَعْلَبُ[2]: إِنَّ مِنْ عَادَةِ العَرَبِ إِذَا ذَكَرُوا اسْمًا مُعَرَّفًا ثُمَّ كَرَّرُوهُ، فَهُوَ هُوَ، وَإِذَا نَكَّرُوهُ ثُمَّ كَرَّرُوهُ فَهُوَ غَيْرُهُ، وَهُمَا اثْنَانِ، لِيَكُونَ

---

1 () (صحيح): أخرجه مالك وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان.

2 () فائدة لغوية: إِذَا تَتَابَعَتْ نَكِرَةٌ وَاحِدَةٌ فِي جُمْلَتَيْنِ مُخْتَلَفَتَيْنِ؛ فَالنَّكِرَتَانِ مُخْتَلِفَتَانِ، أَقُولُ مَثَلاً: لَقِيتُ رَجُلاً وَأَكْرَمْتُ رَجُلاً، فَالرَّجُلُ فِي الجُمْلَتَيْنِ مُخْتَلِفٌ، أَمَّا قَوْلِي: لَقِيتُ رَجُلاً فَأَكْرَمْتُ الرَّجُلَ؛ فَالرَّجُلُ فِي الجُمْلَتَيْنِ وَاحِدٌ، وَكَذَلِكَ فِي الآيَتَيْنِ الكَرِيمَتَيْنِ: العُسْرُ وَاحِدٌ وَاليُسْرُ اثْنَانِ، وَقَالَ الحَسَنُ أَيْضًا: لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ وَاحِدٌ يُسْرَيْنِ اثْنَيْنِ..

أَقْوَى لِلأَمَلِ، وَأَبْعَثَ عَلَى الصَّبْرِ، فَمَنْ ذَاقَ البَلاَءَ عَرِفَهُ؛ فَلَيسَتِ النَّائحَةُ المَأجُورَةُ كَالثَّكلَى المكلُومَةِ! وَلَيْسَ مَنْ رَأى كَمَنْ سَمِعَ!.

صَبْرًا جَمِيلاً مَا أَقْرَبَ الفَرَجَا ... مَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي الأُمُورِ نَجَا
مَنْ صَدَّقَ اللهَ لَمْ يَنَلْهُ أَذًى ... وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا

الصَّبْرُ مُرٌّ كَاسْمِهِ

فَالصَّبْرُ مُرٌّ كَاسْمِهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدُنَا أَنْ يَصْبِرَ بِمُفْرَدِهِ إِلاَّ إِذَا صَبَّرَهُ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلم: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ} [النحل 127] وَهَذَا نَبِيُّ اللهِ إِسْمَاعِيلُ عَلَيهِ السَّلاَمُ يَقُولُ لأَبِيهِ عَلَيهِ السَّلاَمُ وَقْتَ شِدَّتِهِ وَقَدْ قَدَّمَ المَشِيئَةَ: {سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات 102] وَمَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا: إِنَّ صَبْرِي لَيْسَ مِنِّي؛ وَإِنَّمَا بِمُعَاوَنَةِ رَبِّي؛ فَكُلُّ شَيْءٍ لاَ يَقَعُ إِلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ فِي كَوْنِهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الإنسان 30] وَقَبْلَهَا قَالَ إِسْمَاعِيلُ لأَبِيهِ عليه السلام: {قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ} [الصافات 102] وَلَمْ يَقُلْ: افْعَلْ مَا رَأَيْتَ فِي مَنَامِكَ، وَإِنَّمَا نَسَبَ الأَمْرَ للهِ، وَصَبَرَ عليه السلام عَلَى الأَمْرَيْنِ مَعًا بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ؛ لِذَا قَالَ اللهُ فِيهِ: {إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولا نَّبِيًّا} [مريم 54] وَكَذَلِكَ كَانَ قَوْلُ نَبِيِّ اللهِ مُوسَى عليه السلام لِلخَضِرِ: {قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا} [الكهف 69] فَادْعُ اللهَ أَنْ يَرْبِطَ عَلَى قَلْبِكَ وَقْتَ الشِّدَّةِ، قَالَ اللهُ فِي شَأنِ أُمِّ مُوسَى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [القصص 10] وَقَالَ فِي أَهْلِ الكَهْفِ: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ} [الكهف 13-14]

الصَّبْرُ مِنْ أَعْظَمِ الأُمُورِ

وَالصَّبْرُ مِنْ أَعْظَمِ الأُمُورِ، قَالَ اللهُ آمِرًا سَيِّدَ البَشَرِ: {وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} [المدثر 7] وَلاَ يَتَأَدَّبُ بِالصَّبْرِ إِلاَّ صَاحِبُ العَزِيمَةِ، لِذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} [الشورى 43] فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ اللهِ (لَمِنْ) حَتَّى لاَ تَنْتَقِمَ لِنَفْسِكَ مِنْ غَرِيمِكَ، فَالآيَةُ مُؤَكِّدَةٌ بِاللاَّمِ؛ لِحَثِّ المؤْمِنِ عَلَى عَدَمِ الانْتِقَامِ؛ فَلْتَصْبِرْ وَلاَ تَنْتَقِمْ، فَالصَّبْرُ هُنَا

فيهِ غَرِيمٌ، أَمَّا قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} [لقمان 17] فَهَذَا صَبْرٌ لاَ غَرِيمَ لَكَ فِيهِ مِثْلُ الصَّبْرِ عَلَى المَرَضِ، أَوْ عَلَى مُصِيبَةٍ؛ أَنْتَ سَبَبٌ فِيهَا، فَقَالَ اللهُ (مِنْ) فَقَطْ، وَالصَّبْرُ دَيْدَنُ المُؤْمِنِ، فَإِنَّ اللهَ مَا مَنَّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ بِسَبَبِ صَبْرِهِم؛ فَجَعَلَهُم أَئِمَّةً فِي عَصْرِهِم، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة 24] فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ إِمَامًا؛ تَدْعُو إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ إِمَامًا؛ تَدْعُو إِلَى النَّارِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي آلِ فِرْعَوْنَ: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَ} [القصص 41] وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ يُعْطِي البَلاَءَ عَلَى قَدْرِ تَحَمُّلِ الإِنْسَانِ لَهُ.

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا ... ذَرْعًا وَعِنْدَ اللهِ مِنْهَا المَخْرَجُ
الفَتَى ... كَمُلَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ ... فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لاَ تُفْرَجُ
حَلَقَاتُهَا ...

يَقُولُ أَحَدُ المُبْتَلِينَ: إِنَّ اللهَ ابْتَلانِي بِمَرَضٍ أَوْ بِأَزْمَةٍ فَوْقَ قُدْرَتِي، أَقُولُ لَهُ نَاصِحًا نَفْسِي وَإِيَّاهُ: لاَ تَقُلْ مِثْلَ هَذَا الكَلاَمِ، فَكَلاَمُكَ هَذَا مُخَالِفٌ لآيَةٍ صَرِيحَةٍ فِي القُرْآنِ؛ فَلاَ تَخْرُجْ مِنْ دَائِرَةِ الإِيمَانِ، قَالَ اللهُ: {لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة 186] وَلَكِنَّ مَا فَوْقَ طَاقَةِ الإِنْسَانِ هُوَ عَذَابُ يَوْمِ القِيَامَةِ -نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ- قَالَ اللهُ تَعَالَى: {زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ} [النحل 88] وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} [هود 20]

مَرَاتِبُ الابْتِلاَءِ

اعْلَمْ -أُخَيَّ- أَنَّ لِلابْتِلاَءِ ثَلاثَ مَرَاتِبَ:

أَوَّلاً: مَرْتَبَةُ التَّمْحِيصِ

قَالَ اللهُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} [محمد 31] لِتَعْلَمَ- عِلْمَ اليَقِينِ- أَنَّ الابْتِلاءَ اخْتِبَارٌ وَتَمْحِيصٌ؛ وَالابْتِلاءُ دَرَجَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ دَرَجَاتِ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ دَلِيلُ رِضَا اللهِ عَلَى عَبْدِهِ المؤْمِنِ؛ وَلَيْسَ دَلِيلَ غَضَبٍ كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ؛ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: إِنَّ اللهَ ابْتَلَى فُلاَنًا بِكَذَا وَكَذَا بِسَبَبِ سُوءِ عَمَلِهِ، لاَ.. لَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ؛ فَاللهُ يَبْتَلِيكَ؛ لِيَعْلَمَ مَدَى صَبْرِكَ وَشِدَّةِ إِيمَانِكَ وَصِدْقِكَ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: {الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت 1-3] فَقَدْ يَفْتَحُ اللهُ لِلعَبْدِ بَابَ العَمَلِ وَيُغْلِقُ فِي وَجْهِهِ بَابَ القَبُولِ؛ لأَنَّهُ لاَ إِخْلاَصَ فِي عَمَلِهِ، وَرُبَّمَا يَأْتِي العَبْدُ بِذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ؛ ثُمَّ تَتُوبُ مِنْهَا؛ فَكَانَ سَبَبًا لِلوُصُولِ؛ إِذًا..لاَبُدَّ مِنِ ابْتِلاءٍ، فَوَطِّنْ نَفْسَكَ -أَخِي الكَرِيمَ- عَلَى ذَلِكَ مِنَ الآنَ؛ حَتَّى لاَ تُفَاجَأَ بِهِ، وَاصْبِرْ؛ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلمُتَّقِينَ.. فَهَا هُمُ الأَنْبِيَاءُ يُبْتَلَوْنَ -وَهُمْ صَفْوَةُ البَشَرِ عَلَى الإِطْلاَقِ- فَلِمَاذَا يَفْزَعُ أَحَدُنَا إِذَا أَصَابَهُ ابْتِلاءٌ أَوْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ؟! وَرُبَّمَا يَخْسَرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ، قَالَ اللهُ: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج 11] وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ بِقَدَرٍ وَحِكْمَةٍ: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر 49] وَمَا يَحْدُثُ مِنْ حَادِثٍ إِلاَّ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى: {مَا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [هود 56] فَكُلُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الكَوْنِ وُجِدَ بِحِكْمَةٍ وَلِحِكْمَةٍ، وَرُبَّمَا لاَ نَعْرِفُ تِلْكَ الحِكْمَةَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ أَوْ ذَاكَ إِلاَّ بَعْدَ وُقُوعِهِ بِأَعْوَامٍ وَأَعْوَامٍ، فَالكَوْنُ كُلُّهُ وَمَا فِيهِ لَمْ يُخْلَقْ عَبَثًا، وَخَاصَّةً مَقَادِيرُ اللهِ عَلَى العِبَادِ مِنْ صِحَّةٍ وَمَرَضٍ وَفَقْرٍ وَغِنًى.. الخ.

الـرِّزْقُ وَالحِرْمَـانُ ... بِمَـا قَضَـى اللـهُ وَمَـا
مَجْرَاهُمَـا ... قَـدَّرَا
فَاصْبِرْ إِذَا الدَّهْرُ نَبَا نَبْوَةً ... فَجُنَّـةُ الحَـازِمِ أَنْ يَصْـبِرَا

ثَانِيًا: مَرْتَبَةُ التَّطْهِيرِ

رُبَمَا وَرَاءَ الابْتِلاَءِ وَالتَّمْحِيصِ مَا لَيْسَ وَرَاءَ الصّحةِ وَالعَافِيَةِ، فَأَشَدُّ سَاعَاتِ اليَوْمِ سَوَادًا هِيَ مَا قَبْلَ الفَجْرِ مُبَاشَرَةً ثُمَّ يَنْبَثِقُ مِنْهَا نُورُ الفَجْرِ، فَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتَ لاَ تَعْلَمُ: قَالَ رَسُولُ اللهصلى الله عليه وسلم[1]: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» فَاللهُ -بِرَحْمَتِهِ وَكَرَمِهِ- يَبْتَلِي الإِنْسَانَ مِنَّا؛ لِيُطَهِّرَهُ، ذَلِكُمْ هُوَ حَالُ الْمُؤْمِنِ، أَمَّا فِرْعَوْنُ -مَثَلاً- لَوْ قَرَأْتَ سِيرَتَهُ لَتَعَجَّبْتَ، فَقَدْ قِيلَ عَنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَمْرَضْ أَبَدًا، وَلَمْ يَشْكُ قَطُّ إِلاَّ عِنْدَمَا أَخَذَهُ اللهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ؛ وَيَحْضُرُنِي -أَيْضًا- مَا حَدَثَ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ شَاعِرِ الرَّسُولِ عِنْدَمَا أُصِيبَ بِالعَمَى قَبْلَ مَوْتِهِ؛ لَعَلَّ هَذَا يَكُونُ كَفَّارَةً لَهُ بِسَبَبِ خَوْضِهِ فِي حَدِيثِ الإِفْكِ مَعَ الَّذِينَ خَاضُوا، فَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ[2]: دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَعِنْدَهَا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يُنْشِدُهَا شِعْرًا؛ يُشَبِّبُ بِأَبْيَاتٍ لَهُ وَقَالَ:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ

وَمَعْنَى البَيْتِ الشِّعْرِيِّ: تُزَنُّ: تُتَّهَمُ؛ أَنَّكِ تَبِيتِي اللَّيْلَ غَرْثَى أَيْ: جَوْعَى؛ لأَنَّكِ لَمْ تَغْتَابِي المحصَنَاتِ الغَافِلاَتِ؛ فَأَنْتِ حَصَانٌ رَزَانٌ: عَفِيفَةُ اللِّسَانِ رَاجِحَةُ العَقْلِ، الغَوَافِلِ: جَمْعُ غَافِلَةٍ وَهِيَ العَفِيفَةُ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ؛ أَيْ: إِنَّكَ بِتَّ شَبْعَانَ مِنْ لَحْمِي، قَالَ مَسْرُوقٌ: فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَأْذَنِينَ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكِ؟! وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فَقَالَتْ: وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَى؟ قَالَتْ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ أَوْ يُهَاجِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ؛ وَأَمَّا الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولٍ عَاشَ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ وَلَمْ نَسْمَعْ بِمَرَضِهِ؛ فَالمؤْمِنُ يُصَابُ؛ لِيَكُونَ كَفَّارَةً لَهُ، لِذَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ إِذَا مَرَّ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا وَلَمْ يُبْتَلَ فِيهَا يَقُولُ: هَذَا غَضَبٌ مِنَ اللهِ عَلَيَّ؛ وَاذْكُرْ فِي هَذَا المقَامِ قَوْلَ شُرَيْحٍ القَاضِي/[3]: إِنِّي لأُصَابُ بِالمصِيبَةِ فَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهَا أَرْبَعَ

---

1 () (صحيح): البخارى 5642، مسلم 2573.

2 () (صحيح): البخارى 4146، مسلم 2488.

3 () البيهقى؛ شعب الإيمان.

مَرَّاتٍ؛ أَحْمَدُهُ إِذْ لَمْ تَكُنْ أَعْظَمَ مِمَّا هِيَ، وَأَحْمَدُهُ إِذْ رَزَقَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهَا، وَأَحْمَدُهُ إِذْ وَفَّقَنِي لِلاسْتِرْجَاعِ[1] لِمَا أَرْجُو فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ، وَأَحْمَدُهُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي دِينِي..

وَلاَ تَحْسَبَنَّ أَنَّكَ سَتَدْخُلُ الجَنَّةَ بِذُنُوبِكَ، لاَبُدَّ أَنْ تُنَقَّى مِنْهَا كَمَا تُنَقَّى الكِيرُ الحَدِيدَ مِنْ خَبَثِهِ؛ حَتَّى تَسِيرَ عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْكَ خَطِيئَةٌ، وَلَقَدْ قَالَهَا رَسُولُ اللهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرِيحَةً[2]: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ؛ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ البَلاءُ بِالعَبْدِ؛ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ؛ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» وَكَذَلِكَ عَرَّفَهَا هِرَقْلُ حَيْثُ قَالَ لأَبِي سُفْيَانَ[3]: سَأَلْتُكَ كَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ فَزَعَمْتَ أَنَّ الحَرْبَ سِجَالٌ وَدُوَلٌ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ العَاقِبَةُ..وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [يوسف 110]

ثَالِثًا: مَرْتَبَةُ القُرْبِ والتَّكْرِيمِ وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ -أَيُّهَا الحَبِيبُ اللَّبِيبُ- رُبَمَا يَكُونُ مَا وَرَاءَ الابْتِلاءِ وَالتَّمْحِيصِ مَا لَيْسَ وَرَاءَ الصِّحَّةِ وَالعَافِيَةِ؟! فَهَذِهِ المَرْتَبَةُ هِيَ ثَمَرَةُ التَّمْحِيصِ وَالتَّطْهِيرِ؛ فَأَبْشِرْ وَاعْلَمْ -أَيُّهَا المُبْتَلَى- أَنَّ اللهَ يُحِبُّكَ، فَمَنْ يَكْرَهُكَ؟! إِذَا أَحَبَّكَ اللهُ، فَحُبُّ اللهِ يَتْبَعُهُ حُبُّ جِبْرِيلَ عليه السلام ثُمَّ حُبُّ المَلائِكَةِ، ثُمَّ يُوْضَعُ لَكَ القَبُولُ فِي الأَرْضِ كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَصِلَ إِلَيْهِ مِنْ خِلالِ كَلِمَاتِي هَذِهِ أَنْ أُطَمْئِنَ -بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ- كُلَّ مُبْتَلَى مُسْلِمٍ، وَأَقُولُ لَهُ: اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ؛ فَأَنْتَ مِنَ المُكَرَّمِينَ المُقَرَّبِينَ إِنْ شَاءَ اللهُ: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر 10] وَمَا يُؤَكِّدُ مَرْتَبَتَكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَنَّ أَهْلَ العَافِيَةِ فِي الدُّنْيَا يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ الابْتِلاءَاتِ فِي الآخِرَةِ كَمَا أَخْبَرَ رَسُولُ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

1 () الاسترجاع: أن يقول عند وقوع المصيبة: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

2 () (صحيح): أحمد 1610، الترمذى 2398، صحيح الجامع 992.

3 () (صحيح): البخارى 2804، مسلم 1773، أبو داود 5136.

وَسَلَّمَ[1]: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ» سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم! هَذَا يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مُبْتَلَيًا -وَأَنْتَ مُبْتَلَى- يَتَمَنَّى أَنْ يَصِلَ إِلَى ثَوَابِكَ وَأَجْرِكَ، وَأَنْتَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- نَحْسَبُكَ مِنَ الصَّابِرِينَ، اللهُ يُرِيدُ بِكَ خَيْرًا فَطِبْ نَفْسًا وَقَرِّ عَيْنًا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2]: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ؛ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» إِذًا.. كُلُّ إِنْسَانٍ يُبْتَلَى؛ لِيُطَهِّرَهُ اللهُ مِنْ ذَنْبِهِ إِلاَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدً صلى الله عليه وسلم؛ فَهُوَ مَغْفُورُ الذَّنْبِ مَا تَقَدَّمَ مِنْهُ وَمَا تَأَخَّرَ، وَلَكِنَّهُ يُبْتَلَى؛ لِيَكُونَ أُسْوَةً عَمَلِيَّةً فِي صَبْرِهِ وَلِرَفْعِ دَرَجَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ. فَاجْعَلْ صَبْرَكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّكَ، لاَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ صَابِرٌ؛ فَإِنَّ صَبْرَكَ هَذَا يُؤَهِّلُكَ لِدُخُولِ الجَنَّةِ بَعْدَ رَحْمَةِ رَبِّكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ}[الرعد 22]

---

1 () (حسن): الترمذى 2402، صحيح الجامع 8177.

2 () (صحيح): الترمذى 2396، ابن ماجة 4031.

صُورَتَا الابْتِلاَءِ

لِلابْتِلاَءِ صُورَتَانِ إِذَا حَلَّ بِالبَشَرِ وَهُمَا:

الصُّورَةُ الأُولَى: هَلاَكُ الظَّالِمِينَ

فِيهَا يَهْلِكُ اللهُ الظَّالِمُونَ، وَيُنَجِّي فِيهَا الصَّالِحِينَ؛ فَمِنْ دُعَاءِ الصَّالِحِينَ: اللَّهُمَّ أَهْلِكِ الظَّالِمِينَ بِالظَّالِمِينَ، وَأَخْرِجْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ سَالِمِينَ، وَفِي كِتَابِ رَبِّنَا شَوَاهِدُ مُتَعَدِّدَةٌ عَلَى ذَلِكَ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح 25] وَمَعْنَى تَزَيَّلُوا: انْفَصَلُوا حَتَّى يُعَذِّبُوا، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ} [الذاريات 35-36] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [الأعراف 165]

الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ: هَلاَكُ الظَّالِمِينَ وَالصَّالِحِينَ

إِذَا اسْتَشْرَى الفَسَادُ وَعَمَّ وَطَمَّ فَيَهْلِكُ اللهُ فِيهَا الظَّالِمِينَ وَالصَّالِحِينَ مَعًا؛ وَفِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ شَوَاهِدُ مُتَعَدِّدَةٌ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال 25] فَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ[1]: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؛ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ؛ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ؛ وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟! قَالَ: نَعَمْ؛ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ» وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِصلى الله عليه وسلم[2]: «يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ؛ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟! قَالَ: يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ؛ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ

---

[1] () (صحيح): البخارى 3346، مسلم 2880، الترمذى 2187.

[2] () (صحيح): البخارى 2118، مسلم 2884.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]: «إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ».

[1] () (صحيح): أحمد 5856، البخاري 7108.

فَوَائِدُ الابْتِلاَءِ العَشْرُ

لِلابْتِلاَءِ فَوَائِدُ مُتَعَدِّدَةٌ اخْتَرْتُ لَكَ مِنْهَا عَشْرًا؛ حَتَّى لاَ أُثْقِلَ عَلَيْكَ؛ وَتَسْتَطِيعَ اسْتِيعَابَهَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ عَلَيْكَ:

1- إِرْجَاعُ العِبَادِ إِلَى اللَّهِ

اعْلَمْ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- أَنَّ اللهَ يَبْتَلِيكَ؛ حَتَّى تَدْعُوَهُ وَتَعُودَ إِلَيْهِ وَتَتَذَكَّرَهُ وَتَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ، فَرُبَّمَا نَسِيتَ أَوْ تَنَاسَيْتَ اللهَ لِسَبَبٍ أَوْ لآخَرَ، وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْمَعَكَ وَأَنْتَ تَدْعُوهُ، فَيَبْتَلِيكَ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ. مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِكَ، قَالَ اللهُ فِي شَأْنِ قَوْمٍ: {فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} [الأنعام 42] فَالبَأْسَاءُ شِدَّةُ الفَقْرِ، وَالضَّرَّاءُ شِدَّةُ المَرَضِ، أَيْ: مُصِيبَةٌ بَعْدَ مُصِيبَةٍ؛ حَتَّى يَكُونُوا عَلَى صِلَةٍ دَائِمَةٍ بِاللهِ، فَادْعُ اللهَ وَلاَ تَغْفُلْ عَنْ ذِكْرِهِ، وَتَعَلَّمْ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ، اسْتَمِعْ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، يستغيثون رَبَّهُم مُدَبِّرَ أُمُورِهِم، قَالَ اللهُ فِي شَأْنِهِمْ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال 9] فَكُلٌّ مِنَّا يَدْعُو رَبَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ، وَلَعَلَّ فِي هَذِهِ الإِجَابَةِ هَلاَكَهُ وَهُوَ لاَ يَدْرِي! فَادْعُ وَاصْطَبِرْ عَلَى الإِجَابَةِ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ[1]: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاَثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ ،قَالَ: اللهُ أَكْثَرُ» أَيْ: أَكْثَرُ إِجَابَةً لِمَطَالِبِ العِبَادِ؛ فَخَزَائِنُهُ لاَ تَنْفَدُ أَبَدًا: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ} [الحجر 21] وَاللهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّعَاءِ إِلاَّ هَذِهِ الآيَةِ لَكَفَى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة 186] أَيْ: إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنْ قُرْبِي أَوْ عَنْ كَرَمِي أَوْ عَنْ رَحْمَتِي وَفَضْلِي وَعَفْوِي فَإِنِّي مُجِيبٌ، إِنَّهَا آيَةٌ عَظِيمَةٌ تَسْكُبُ فِي قَلْبِ المُؤْمِنِ الثِّقَةَ بِاللهِ وَاليَقِينَ فِي رَبِّهِ العَظِيمِ، وَيَعِيشُ فِيهَا المُؤْمِنُ فِي مَلاَذٍ أَمِينٍ وَقَرَارٍ مَكِينٍ؛ فَلَيْسَ فِي الآيَةِ وَاسِطَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الوَاسِطَةُ هِيَ رَسُولُ اللهصلى الله عليه وسلم! وَلِذَا لَمْ يَقُلِ اللهُ عليه السلام : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَقُلْ إِنِّي قَرِيبٌ) فَلاَ وَاسِطَةَ؛ فَالفَاءُ لِلسُّرْعَةِ وَالتَّعْقِيبِ؛ لأَنَّ اللهَ قَرِيبٌ، فَاللهُ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ؛ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ دَمِكَ؛ الَّذِي

---

[1] () (صحيح): أحمد 10749، صحيح الترغيب والترهيب 1631.

يَجْرِي فِي جِسْمِكَ، فَقَالَ ﷺ: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق 16] فَبِاللهِ عَلَيْكَ كَمْ مَرَّةٍ دَعَوْتَ اللَّهَ بِصِدْقٍ، وَاسْتَغَثْتَ رَبَّكَ فِي حَيَاتِكَ كُلِّهَا؟! فَاسْتَغِثْ بِاللهِ يُغِثْكَ اللهُ، وَلاَ تَسْتَغِثْ بِوَلِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ، إِنَّمَا الْمُغِيثُ اللهُ -جَلَّ شَأْنُهُ- فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ دُعَاءَ إِلاَّ للهِ؛ وَلاَ رَجَاءَ إِلاَّ فِي اللهِ؛ وَلاَ اسْتِغَاثَةَ وَلاَ اسْتِعَانَةَ إِلاَّ بِهِ وَحْدَهُ ﷻ..وَإِنِّي لَنَاصِحٌ نَفْسِي وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْعَلَ -دَائِمًا- بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ أَسْرَارًا لاَ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلاَّ مَوْلاَكَ -جَلَّ شَأْنُهُ- وَأَعْظَمُ الأَسْرَارِ بِالنَّهَارِ الصِّيَامُ، وَأَعْظَمُ الأَسْرَارِ بِاللَّيْلِ القِيَامُ، نَاهِيكَ عَنْ ثَوَابِ الصَّدَقَاتِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ أُخْرَى وَعِبَادَاتٍ سِرِّيَةٍ لاَ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا وَلاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ رَبُّ الأَرْبَابِ؛ حَتَّى إِذَا دَعَوْتَ اللَّهَ سَمِعْتَ مَنْ يَقُولُ لَكَ: لَبَّيْكَ.

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا ... وَقُمْتُ أَشْكُو إِلَى
وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا ... مَوْلاَيَ مَا أَجِدُ
وَقُلْتُ يَا عُدَّتِي فِي كُلِّ ... وَمَنْ عَلَيْهِ فِي كَشْفِ
نَائِبَةٍ ... الضُّرِّ أَعْتَمِدُ
أَشْكُو إِلَيْكَ ذُنُوبًا أَنْتَ ... مَا لِي عَلَى حَمْلِهَا صَبْرٌ
تَعْلَمُهَا ... وَلاَ جَلَدُ
وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي بِالذُّلِّ ... إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ
مُعْتَرِفًا ... يَدُ
فَلاَ تَرُدَّنَّهَا يَا رَبِّ خَائِبَةً ... فَبَحْرُ جُودِكَ يَرْوِي كُلَّ مَنْ
يَرِدُ

2- لُزُومُ المبْتَلَيْنَ الاسْتِغْفَارَ

إِنَّهَا فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ؛ فَعِنْدَمَا يُصَابُ أَحَدُنَا بِمُصِيبَةٍ تَرَاهُ يَفْزَعُ إِلَى الاسْتِغْفَارِ؛ فَاعْتَرِفْ بِذَنْبِكَ قَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ رَبَّكَ، فَمَا أَكْثَرَ ذُنُوبَنَا! وَلَكِنْ مَا أَعْظَمَ غُفْرَانَ رَبِّنَا لَنَا! فَالاسْتِغْفَارُ عِبَادَةٌ مَيْسُورَةٌ[1]، لاَ تُكَلِّفُكَ مَالاً أَوْ نَصَبًا، إِنَّمَا تُكَلِّفُكَ قَلْبًا شَاكِرًا وَلِسَانًا ذَاكِرًا وَنَفْسًا إِلَى اللهِ تَائِبَةً مُسْتَغْفِرَةً، فَهَا هُوَ الْبَشِيرُ صلى الله عليه وسلم يُبَشِّرُنَا جَمِيعًا بِقَوْلِهِ[2]: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلاَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران 135] فَالْزَمْ طَرِيقَ

[1] () راجع كتابنا: (الاستغفار من كتاب ربنا الغفار وسُنَّة....).
[2] () (صحيح): أحمد 2، الترمذى 406، ابن ماجة 1395.

الاسْتِغْفَارِ وَالإِنَابَةِ؛ حَتَّى يَرْحَمَكَ رَبُّكَ، نَبِيَّانِ كَرِيمَانِ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ مُوسَى وَهَارُونَ ! وَسَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام مِنْ أَعْظَمِ أَنْبِيَاءِ اللهِ ذِكْرًا فِي القُرْآنِ، فَمَا بَيْنَ سُورَةٍ وَأُخْرَى إِلاَّ وَيُطَالِعُكَ ذِكْرُ هَذَا النَّبِيِّ الكَلِيمِ فِي القُرْآنِ.

سَيِّدُنَا مُوسَى وَأَخُوهُ هَارُونَ ! يَدْعُوَانِ عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ بِقَوْلِهِمَا: {رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [يونس 88] فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُمَا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ دُعَائِهِمَا كَمَا قَالَ المفَسِّرُونَ، فَلاَ تَسْتَعْجِلِ الإِجَابَةَ؛ فَلَعَلَّ فِي تَأْخِيرِ الإِجَابَةِ خَيْرًا لَكَ وَأَنْتَ لاَ تَدْرِي، أَوْ لَعَلَّ فِي وُقُوعِ هَذِهِ المُصِيبَةِ أَوْ تِلْكَ خَيْرًا كَثِيرًا لِصَاحِبِهَا، ولَكِنَّ نَظَرَ صَاحِبِهَا القَاصِرَ لاَ يُدْرِكُ ذَلِكَ..

3- رِفْعَةُ المكَانَةِ وَالتَّأْهِيلُ لِعَمَلِ الخَيْرِ

وَلَنَا فِي إِبْرَاهِيمَ الأُسْوَةُ الحَسَنَةُ؛ حَيْثُ ابْتَلاَهُ رَبُّهُ تَعَالَى بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ؛ إِذْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} [البقرة 124] وَقَدْ اخْتَلَفَ المفَسِّرُونَ فِي الكَلِمَاتِ؛ فَقَالَ فَرِيقٌ: ابْتَلاَهُ بِشَرَائِعِ الإِسْلاَمِ، وَقَالَ فَرِيقٌ ثَانٍ: ذَبْحُ وَلَدِهِ الحَبِيبِ، وَقَالَ ثَالِثٌ: بِأَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَتَبْلِيغِهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: سُنَنُ الفِطْرَةِ؛ الاخْتِتَانُ بِالقَدُّومِ وَهُوَ الشَّيْخُ الكَبِيرُ، وَالاسْتِحْدَادُ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ وَنَتْفُ الإِبِطِ، وَهَذَا الرَّأْيُ هُوَ الأَقْرَبُ وَاللهُ أَعْلَمُ، وَعَلَى كُلٍّ فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَامَ بِهَذِهِ الكَلِمَاتِ وَوَفَّى بِهَا، قَالَ اللهُ: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى} [النجم 37] فَكَانَتِ النَّتِيجَةُ أَنْ جَعَلَهُ اللهُ إِمَامًا؛ قُدْوَةً لِلنَّاسِ فِي الخَيْرِ؛ وَطَلَبَ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَئِمَّة: {قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} [البقرة 124] فَلَمْ يَسْتَجِبْ رَبُّنَا، وَلَكِنْ هُنَاكَ بَعْضُ الرِّجَالِ مِنْ إِذَا ابْتَلاَهُ اللهُ أَتَى بِأَفْعَالٍ سَيِّئَةٍ وَلَمْ يَصْبِرْ؛ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى هَذَا النَّبِيِّ الكَرِيمِ وَإِلَى امْتِثَالِهِ لأَمْرِ رَبِّهِ؛ حَيْثُ قَامَ بِالكَلِمَاتِ وَأَتَمَّهَا.

4- الانْكِسَارُ وَالخُضُوعُ للَّهِ

نَعَمْ..فَالمبْتَلَى أَكْثَرُ النَّاسِ انْكِسَارًا وَخُضُوعًا لله، وَهَذِهِ فَائِدَةٌ عُظمَى لاَ يَشْعُرُ بِهَا إِلاَّ المبْتَلَوْنَ؛ فَلَيْسَ المبْتَلَى كَالمعَافَى، فَتَجِدُهُ يَرْجُو اللهَ تَعَالَى فِي كُلِّ أُمُورِهِ، فَيَتَعَلَّمُ الصَّبْرَ عَلَى المَرَضِ مِنْ نَبِيِّ اللهِ أَيُّوبَ؛ فَقَدْ شَفَاهُ اللهُ

بِسَبَبِ صَبْرِهِ العَظِيمِ سَنَوَاتٍ وَسَنَوَاتٍ: {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص 44] وَالشُّكْرَ مِنْ نَبِيِّ اللهِ نُوحٍ: {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء 3] وَالإِخْلاَصَ مِنْ نَبِيِّ اللهِ يُوسُفَ: {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف 24] وَلاَ تَكُنْ دَائِمَ الشَّكْوَى إِلَى زُوَّارِكَ؛ حَتَّى يُفَرِّجَ اللهُ عَنْكَ وَيُبَدِّلَكَ ثَوَابًا عَظِيمًا؛ وَاطْمَئِنَّ، فَاللهُ يَرَاكَ وَيَحْفَظُكَ وَيَرْعَاكَ وَيَسْمَعُكَ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ا قَالَ[1]: قَالَ رَسُولُ اللهصلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي الْمؤْمِنَ فَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ إِسَارِي، ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ؛ ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ» أَيْ: طَهَّرْتُهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَمْرَضْ، وَعِلاَوَةً عَلَى ذَلِكَ حَصَّلَ مِنَ الْحَسَنَاتِ الْكَثِيرَ؛ فَاصْبِرْ وَصَابِرْ وَرَابِطْ وَاتَّقِ اللهَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران 200] يُنَادِي الْمَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ نَاصِحًا، أَنْ يَصْبِرُوا عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْمَصَائِبِ وَعَنِ الْمَعَاصِي، وَأَنْ يُصَابِرُوا الْكُفَّارَ فَلاَ يَكُونُوا أَشَدَّ صَبْرًا مِنَّا، وَأَنْ يَتَّقُوا اللهَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِم؛ حَتَّى يَفُوزُوا بِالْجَنَّةِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ، وَهَلْ هُنَاكَ فَلاَحٌ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؟! وَلاَ تَنْسَ ذِكْرَ اللهِ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ؛ فَعَلَيْكَ بِالتَّسْبِيحِ وَذِكْرِ اللهِ؛ فَهَذَا أَفْضَلُ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَنِعَمِهِ، قَالَ الْمَعْصُومُصلى الله عليه وسلم[2]: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ؛ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ.. سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ».

5- إِظْهَارُ المحِبِّ مِنَ المبْغِضِ

وَقْتَ المصِيبَةِ تَجِدُ حَوْلَكَ أَهْلَكَ يَهْتَمُّونَ لِهَمِّكَ فَتَجِدُ هَذَا يَجْرِي؛ لإِحْضَارِ طَبِيبٍ، وَثَانٍ يَجْلِبُ دَوَاءً، وَثَالِثٌ يَدْعُو اللهَ بِإِخْلاَصٍ أَنْ يَشْفِيَهُ، وَآخَرُ يَقِفُ وَالعِيَاذُ بِاللهِ شَامِتًا، وَتِلْكُمُ هِيَ المصِيبَةُ، وَلاَ يُحَرِّكُ سَاكِنًا عِنْدَ وُقُوعِ المصِيبَةِ، وَكَأَنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ تَزْدَادَ سُوءًا، وَرُبَّمَا يَدْعُو اللهَ أَلاَّ يَكْشِفَهَا، وَرَحِمَ اللهُ القَائِلَ:

أَهْـــــــــدَتْ رَحِـمَ اللـهُ الشَّـدَائِدَ إِلَيَّ عَدُوِّي مِنْ حَبِيبِـي

---

1 () (صحيح): رواه الحاكم فى مستدركه، صحيح الترغيب والترهيب 3424.

2 () (صحيح): البخارى 6406، مسلم 2694.

فَانْظُرْ إِلَى هَؤُلاَءِ المنَافِقِينَ وَمَاذَا فَعَلُوهُ فِي حَادِثَةِ مَكْذُوبَةٍ! وَهِيَ حَادِثَةُ الإِفْكِ؛ وَكَيْفَ رَوَّجُوا لَهَا فِي المدِينَةِ؟! فَظَهَرَتْ شَمَاتَتُهُم، فَظَهَرُوا عَلَى حَقِيقَتِهِمَ السَّيئَةِ مِنْ مَوْقِفٍ وَاحِدٍ.

6- الشُّعُورُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى

فَأَنْتَ لاَ تَشْعُرُ بِنِعْمَةِ النَّصْرِ إِلاَّ إِذَا جَرَّبْتَ مَرَارَةَ الهَزِيمَةِ، وَكَذَلِكَ لاَ تَشْعُرُ بِنِعْمَةِ العَيْنِ إِلاَّ إِذَا رَمَدَتْ عَيْنُكَ، وَكَذَلِكَ لاَ تَشْعُرُ بِنِعْمَةِ القَدَمِ إِلاَّ إِذَا قُطِعَتْ، وَلاَ تَشْعُرُ بِنِعْمَةِ اليَدِ إِلاَّ إِذَا شُلَّتْ.. فَأَعْظَمُ نِعَمِ اللهِ عَلَى العَبْدِ -فِي الدُّنيَا- التَّمَتُّعُ بِالنِّعْمَةِ، أَمَّا فِي الآخِرَةِ فَالنِّعْمَةُ الحَقِيقِيَّةُ فَهِيَ التَّمَتُّعُ بِرُؤْيَةِ المنْعِمِ العَظِيمِ، فَاسْتَخْدِمْ نِعَمَ اللهِ عَلَيْكَ فِي الخَيْرِ؛ وَلاَ تُوَظِّفْهَا فِي مَعَاصِيهِ؛ وَاذْهَبْ إِلَى أَهْلِ البَلاَءِ؛ لِتُوَاسِيَهُمْ وَتَرْفَعَ مِنْ مَعْنَوِيَّاتِهِم، وَتُصَبِّرَهُمْ أَوْ تَتَعَلَّمَ مِنْهُمُ الصَّبْرَ قَبْلَ ابْتِلاَئِكَ، وَتَدْعُوَ لِنَفْسِكَ وَتَشْكُرَ رَبَّكَ أَنْ عَافَاكَ مِمَّا ابْتَلاَهُمْ بِهِ، فَقَدْ نَصَحَنَا رَسُولُ اللهصلى الله عليه وسلمإِذَا رَأَى أَحَدُنَا صَاحِبَ بَلاَءٍ فَلْيَقُلْ[1]: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلاَءُ» حِينَئِذٍ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ تِلْكَ النِّعْمَةِ.

7- تِلاَوَةُ القُرْآنِ وَفَهْمُ بَعْضِ مَعَانِيهِ

عِنْدَمَا يُصَابُ أَحَدُنَا بِمُصِيبَةٍ فَإِنَّهُ يَفْزَعُ إِلَى القُرْآنِ، وَيَقْرَأُ فِيهِ بِشَغَفٍ، فَرُبَّمَا تَتَمَكَّنُ مِنْ قَلْبِهِ القِرَاءَةُ، فَإِنَّهَا تُحْدِثُ أَثَرًا عَجِيبًا فِيهِ، فَوَاللهِ لَوْ تَدَبَّرْتَ كِتَابَ رَبِّكَ -أَيُّهَا المبْتَلَى- لأَصَابَكَ العَجَبُ العُجَابُ، فَالكَوْنُ كُلُّهُ رَاحَ يَعِظُ ابْنَ آدَمَ لَعَلَّهُ يَعِي أَوْ يَتَعَلَّمُ، فَكَانَ هَذَا المخْلُوقُ الأَعْجَمُ أَبْلَغَ عِبَارَةً مِمَّنْ يَعْقِلُ الأُمُورَ وَيَتَكَلَّمُ، فَالغُرَابُ عَلَّمَ ابْنَ آدَمَ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ؟! وَالنَّمْلَةُ تَنْصَحُ لِقَوْمِهَا؛ حَتَّى لاَ يَحْطِمَنَّهُم سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَالهُدْهُدُ الَّذِي تَعَجَّبَ مِنْ سُجُودِ أَهْلِ سَبَإٍ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ، وَالكَلْبُ الَّذِي جَالَسَ الصَّالِحِينَ فَأَصَابَهُ بَرَكَتُهُمْ، وَالبَحْرُ الَّذِي انْصَاعَ لأَوَامِرِ رَبِّهِ حِينَ حَمَلَ نُوحًا إِلَى بَرِّ الأَمَانِ، وَاليَمُّ الَّذِي أَنْجَى مُوسَى -بِأَمْرِ اللهِ- مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ ،وَأُخْرَى وَهُوَ نَبِيٌّ كَبِيرٌ؛ عِنْدَمَا لاَحَقَهُ هَذَا الطَّاغُوتُ فَضَرَبَ مُوسَى البَحْرَ بِعَصَاهُ، فَصَارَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ (الجَبَلِ الضَّخْمِ)، وَالنَّارُ التِي غَيَّرَتْ طَبِيعَتَهَا فَصَارَتْ مُشْرِقَةً -بِأَمْرِ

---

[1] () (حسن): الترمذى 3432، صحيح الجامع 6248.

رَبِّهَا-لا مُحْرِقَةً مُهْلِكَةً.. بِاللهِ عَلَيْكَ لَوْ قَرَأتَ وَتَدَبَّرْتَ هَذِهِ الأُمُورَ، أَلاَ تَتَفَكَّرُ وَتَخْشَعُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَتَنْسَى ابْتِلاَءَكَ؟! وَبَعْدَ هَذَا التَّفَكُّرِ يَزْدَادُ القَلْبُ خَشْيَةً للهِ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال 2] عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ تَوْجَلُ قُلُوبُ الموَحِّدِينَ، وَإِذَا سَمِعُوا القُرْآنَ ازْدَادُوا إِيمَانًا؛ فَاللهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ هَؤُلاَءِ..

أَوْ رُبَمَا يَتَأَثَّرُ بِقَوْلِ أَحَدِ زَائِرِيهِ عِنْدَمَا يُذَكِّرُهُ بِقَوْلِهِ لَهُ أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِكَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، وَمَعْنَاهَا: أَيْ: لاَ تَحَوُّلَ لِلعَبْدِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ، فَإِنْ أَعْيَاكَ المَرَضُ وَالهَزِيمَةُ وَالضَّعْفُ وَالذُّلُّ لِغَيْرِ اللهِ، فَقُلْ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، وَاحْرِصْ عَلَى تَوَافُقِ قَلْبِكَ وَلِسَانِكَ حِينَهَا.

8- مَحْوُ الخَطَايَا وَالذُّنُوبِ

وَمَا أَجْمَلَ إِجَابَةَ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ عِنْدَمَا يُسْأَلُ عَنْ أَجْمَلِ ثَلاَثَةِ أَشْيَاءَ أَحَبَّهَا فِي حَيَاتِهِ! فَقَالاَ: الجُوعُ وَالمَرَضُ وَالمَوْتُ، فَسُئِلَ لِمَاذَا؟! فَقَالَ: إِذَا جُعْتُ رَقَّ قَلْبِي، وَإِذَا مَرِضْتُ خَفَّ ذَنْبِي، وَإِذَا مُتُّ قَابَلْتُ رَبِّي.

وَاللهُ يَحُطُّ عَنْكَ خَطَايَاكَ بِابْتِلاَئِكَ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ أَوْرَاقَهَا، وعن عبد الله بن مَسْعُودٍ قَالَ[1]: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَوَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قَالَ: أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ، قُلْتُ ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، قَالَ: «أَجَلْ. ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» وَهَذَا حَدِيثٌ آخَرُ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَدَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ المُسَيَّبِ، فَقَالَ: مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ المُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ[2]؟! قَالَتْ: الحُمَّى؛ لاَ بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ[3]: «لاَ تَسُبِّي الحُمَّى؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ» لِذَا لاَ يَنْبَغِي لأَحَدِنَا أَنْ يَسُبَّ المَرَضَ بِقَوْلِهِ مَثَلاً: السَّرَطَانُ مَرَضٌ خَبِيثٌ أَوْ مَرَضٌ لَعِينٌ.

---

1 () (صحيح): البخاري 5648، مسلم 2571، أحمد 3611.

2 () تزفزفين: ترتعدين، أي: تتحركين حركة شديدة.

3 () (صحيح): مسلم 2575، الترمذى 2250.

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الطَّاعُونِ فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]: «أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ[2] فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ» وَأَجْرُ الشَّهِيدِ بَيَّنَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي حَدِيثٍ آخَرَ، فَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3]: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ؛ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ؛ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ».

وَعِنْدَمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا} [النساء 122] وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4]: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا أَوْ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا» قَارِبُوا: اقْتَصِدُوا وَتَوَسَّطُوا، وَسَدِّدُوا: اقْصِدُوا الصَّوَابَ، وَهُوَ السَّدَادُ، وَالنَّكْبَةُ عَثْرَةٌ يَعْثُرُهَا بِرِجْلِهِ، وَعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الصَّلاحُ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا}؟!! فَكُلُّ سُوءٍ عَمِلْنَا جُزِينَا بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ[5]: صلى الله عليه وسلم«غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؛ أَلَسْتَ تَمْرَضُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللأْوَاءُ[6]؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَهُوَ مَا تُجْزَوْنَ بِهِ» أَيْ: أَنَّكَ تَحْصُلُ عَلَى حَسَنَاتٍ بِصَبْرِكَ عَلَى هَذِهِ الأَشْيَاءِ؛ فَالحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ؛

---

1 () (صحيح): البخاري 5734.

2 () الطاعون: داء وبائي يصيب الفئران سببه مكروب وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان وجمعه طواعين..

3 () (صحيح) أحمد 21585، صحيح الترغيب والترهيب 2008.

4 () (صحيح): مسلم 2574، الترمذي 3038.

5 () (صحيح): أحمد 69، صحيح الجامع 3430.

6 () اللأواء: ضيق المعيشة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [هود 114-115]

9- تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ الكَامِلِ للَّهِ

فَعِنْدَمَا يَمْرَضُ العَبْدُ بِمَرَضٍ عُضَالٍ فَيَتَوَجَّهُ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ إِلَى اللهِ أَنْ يَشْفِيَهُ، وَإِنَّنِي لأَنْصَحُكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ إِذَا اشْتَدَّ بِكَ الوَجَعُ كَمَا ذَكَرَ عُثْمَانُ؛ فَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي العَاصِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ عُثْمَانُ: بِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهصلى الله عليه وسلم[1]: «أَمْسِكْ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ» قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا كَانَ بِي فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَدَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَإِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ[2]: «لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ: لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: قُلْتُ طَهُورٌ كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ أَوْ تَثُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورَ فَقَالَ النَّبِيُّصلى الله عليه وسلم: فَنَعَمْ إِذًا» وَمَعْنَى طَهُور: مُطَهِّرَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ وَمُكَفِّرَةٌ لِلْخَطَايَا، تُزِيرُهُ: إِذَا حَمَلَهُ عَلَى الزِّيَارَةِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ[3]: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ[4]» قَالَ الطَّبَرِيُّ: كَانَ السَّلَفُ يَدْعُونَ بِهِ وَيُسَمُّونَهُ دُعَاءَ الْكَرْبِ، فَإِنْ قِيلَ: هَذَا ذِكْرٌ وَلَيْسَ فِيهِ دُعَاءٌ، فَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ مَشْهُورَيْنِ؛ الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذَا الذِّكْرَ يُسْتَفْتَحُ بِهِ الدُّعَاءُ ثُمَّ يَدْعُو بِمَا شَاءَ، وَالثَّانِي: جَوَابُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فَقَالَ: أَمَا عَلِمْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: مَنْ شَغَلَهُ

---

1 () (صحيح): أحمد 15834، الترمذي 2080، صحيح الجامع 3891.

2 () (صحيح): البخاري 3616.

3 () (صحيح): مسلم 2730.

4 () قال ابن عباس: هو حديث جليل, ينبغي الاعتناء به, والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة، ومعنى كان إذا حزبه أمر؛ أي: أصابه وألمَّ به أمر شديد.

الْقُـرْآنُ وَذِكْـرِي عَـنْ مَسْـأَلَتِي أَعْطَيْتُـهُ أَفْضَـلَ مَـا أُعْطِـي السَّائِلِينَ.

وَقَالَ الشَّاعِرُ[1] أُمَيَّةُ بْنُ أَبِـي الصَّـلْتِ فِـي عَبْـدِاللهِ مِـن جُدْعَانَ: وَأُمَيَّةُ هَذَا هُوَ الشَّاعِرُ الَّذِي أَمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَـرَ قَلْبُـهُ كَمَا قِيلَ عَنْهُ، أَدْرَكَ الإِسْلاَمَ، وَلَمْ يُؤْمِنْ؛ لِمَقْتَلِ ابْنَـي خَـالَتِهِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَى، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَعَلَ فِي مَطَالِعِ الكُتُـبِ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَكَتَبَتْهَا قُرَيْشٌ.

أَأَذْكُـرُ حَـاجَتِي أَمْ قَـدْ كَفَـانِي ... حَيَـاؤُكَ إِنَّ شِـيمَتَكَ الحَيَـاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ المَرْءُ يَوْمًـا ... كَفَاهُ مِـنْ تَعَرُّضِـهِ الثَّنَـاءُ
إِذا خُلِّفتَ عَبدَ اللَهِ فَاعلَم ... بِـأَنَّ القَـومَ لَيـسَ لَهُـم جَـزاءُ
فَأَبرَزَ فَضـلَهُ حَقّـاً عَلَيهِـم ... كَمـا بَـرَزَت لِناظِرِهـا السَـماءُ
فَهَل تَخفى السَّماءُ عَلـى بَصـيرٍ ... وَهَـل بِالشَـمسِ طالِعَـةً خَفـاءُ

فَهَذَا مَدْحٌ وَثَنَاءٌ فِي مَخْلُـوقٍ مِـنْ مَخْلُـوقٍ مِثْلِـهِ؛ فَكَيْـفَ بِثَنَاءِ النَّبِيِّ فِي خَالِقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَأَنَّهُ قَالَ[2]: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًـا لَـمْ يَحْضُرْ أَجَلَـهُ فَيَقُـولُ سَـبْعَ مَـرَّاتٍ: أَسْـأَلُ اللَّـهَ العَظِيـمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلَّا عُوفِيَ».

وَلاَ تَنْـسَ أَنْ تَرْقِـيَ نَفْسَـكَ بِـالْمُعَوِّذَاتِ، فَعَـنْ عَائِشَـةَ قَالَتْ[3]: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلمإِذَا مَـرِضَ

---

1 () شاعر جاهلي، حكيم، من أهل الطائف، قدم دمشق قبل الإسلام وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، ورحل إلى البحرين فأقام ثماني سنين، ظهر في أثنائها الإسلام.

2 () (صحيح): أحمد 2138، الترمذي 2083، صحيح الجامع 3106.

3 () (صحيح): مسلم 2192.

أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ؛ فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ؛ لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي».

فَالشَّافِي وَالطَّبِيبُ هُوَ اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]: «اللهُ الطَّبِيبُ» فَقَدْ قَالَ الْعَلامَةُ ابنُ الْقَيِّم/ فِي كِتَابِهِ الْقَيِّم الْفَوَائِدِ: إِنَّ الصَّبْرَ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ وَحَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ التَّشَكِّي..، قَالَ ابنُ الْقَيِّمِ أَيْضًا/: الْجَاهِلُ يَشْكُو اللهَ إِلَى النَّاسِ، وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ بِالْمَشْكُوِّ وَالْمَشْكُوِّ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبَّهُ لَمَا شَكَاهُ، وَلَوْ عَرَفَ النَّاسَ لَمَا شَكَا إِلَيْهِم، حِينَئِذٍ يَتَحَقَّقُ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ؛ لإِفْرَادِ الْمَرِيضِ اللهَ بِالدُّعَاءِ، فَلا يَكْشِفُ الْبَلْوَى إِلاَّ اللهُ: {وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [الأنعام 17-18] فَأَنْتَ لاَ تَمْلِكُ مِنْ نَفْسِكَ شَيْئًا، وَلاَ تَمْلِكُ لِنَفْسِكَ شَيْئًا، فَاللهُ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُكَ، وَيَمْلِكُ مَنْ يَمْلِكُكَ، قَالَ اللهُ: {قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام 12] وَاعْلَمْ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ لاَ يُطْلَبُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ؛ فَاحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ..

وَاذْكُرْهُ دَائِمًا وَأَنْتَ فِي رَخَائِكَ وَشِدَّتِكَ، فَمِذْكُرُ الْبَدَنِ الْوَفَاءُ مَعَ اللهِ، وَذِكْرُ الرُّوحِ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، وَذِكْرُ النَّفْسِ الرِّضَاءُ، وَذِكْرُ الْيَدِ الْعَطَاءُ، وَذِكْرُ اللِّسَانِ الثَّنَاءُ، وَذِكْرُ الأُذُنِ الإِصْغَاءُ إِلَى كُلِّ قَوْلٍ حَسَنٍ فِيهِ ذِكْرٌ لِرَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

10- الْقُرْبُ مِنَ اللَّـهِ وَالثَّبَاتُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى الْمَمَاتِ

لَعَلَّ فِي هَذِهِ الْهِزَّةِ الْعَوْدَةَ إِلَى اللهِ؛ وَاحْذَرْ أَنْ تُفْتَنَ قَبْلَ مَوْتِكَ بِسَبَبِ ابْتِلائِكَ، فَعِنْدَمَا تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ أَعْضَائِكَ سَتَشْهَدُ عَلَيْكَ فِي الآخِرَةِ؛ وَهِيَ الَّتِي كُنْتَ عَنْهَا فِي الدُّنْيَا تُدَافِعُ، فَإِنَّكَ سَتَرْتَدِعُ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَفَضَحِكَ، فَقَالَ[2]: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟! قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ: يَا رَبِّ؛ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ:

---

[1] () (صحيح): صحيح الجامع 1252.

[2] () (صحيح): مسلم 2969.

فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ[1]: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا؛ فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ» وَاعْرِضْ نَفْسَكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى عَلَى قُرْآنِ رَبِّكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ؛ لِتَعْرِفَ أَيْنَ الْخَلَلُ فِي نَفْسِكَ؟! فَهَا هُوَ عُبَيْدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ[2] الَّذِي كَانَ زَوْجًا لأُمِّ حَبِيبَة، وَأَسْلَمَ مَعَهَا وَهَاجَرَ إِلَى الحَبَشَة، وَلَكِنَّهُ فُتِنَ هُنَاكَ فَارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ وَتَنَصَّرَ فَمَاتَ عَلَى نَصْرَانِيَّتِهِ، وَكَذَلِكَ عَبْدُاللهِ بنُ خَطَل الَّذِي قُتِلَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ، وَرَبِيعَةُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ[3] الَّذِي شَرِبَ الخَمْرَ، فَحَدَّهُ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ عُمَرُ ثُمَّ نَفَاهُ إِلَى خَيْبَرَ، فَفَرَّ مِنْهَا هَارِبًا إِلَى هِرَقْلَ وَارْتَدَّ وَتَنَصَّرَ، وَالسَّبَبُ عَدَمُ اسْتِطَاعَتِهِ مُفَارَقَةَ خَمْرِهِ وَالعِيَاذُ بِاللهِ، فَادْعُ اللهَ الثَّبَاتَ عَلَى الإِسْلَامِ الَّذِي هَدَاكَ اللهُ إِلَيْهِ، وَلَكِن يَا مَنْ تَنْشُدُ الرَّاحَةَ، اعْلَمْ أَنَّهُ لَا رَاحَةَ إِلَّا فِي الجَنَّةِ، قِيلَ لِلإِمَامِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلَ: مَتَى يَجِدُ الإِنْسَانُ الرَّاحَةَ؟! فَقَالَ: عِنْدَ أَوَّلِ قَدَمٍ يَضَعُهَا فِي الجَنَّةِ! نَعَمْ..فَسِلْعَةُ اللهِ غَالِيَةٌ أَلَا وَهِيَ الجَنَّةُ! فَرَحْمَةُ اللهِ تُصِيبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ الأَنْبِيَاءُ؛ وَمِنْهُم نَبِيُّ اللهِ يُوسُفُ، حَتَّى مَكَّنَ لَهُ فِي الأَرْضِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف 56]

---

1 () أركانه: جوارحه، أمَّا لفظة: أناضل فمعناها: أجادل وأدافع.

2 () مجلة التوحيد (العدد 11- 1425هـ) مقال المستشار/ أحمد السيد، وكذلك كتاب: (الاستيعاب 2/272) على هامش الإصابة.

3 () كتاب الإصابة: (1/530).

أَنْتَ فِي نِعْمَةٍ عَظِيمَةٍ، فَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ

لَقَدْ آثَرْتُ أَنْ أَبْدَأَ بِهَذَا العُنْوَانِ المهِمِّ.. فَإِنْ كُنْتَ فِي عَافِيَةٍ فَأَنْتَ فِي نِعْمَةٍ عُظْمَى، لأَنَّكَ لاَ تَشْعُرُ بِأَيٍّ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى إِلاَّ إِذَا كُنْتَ ذَا عَافِيَةٍ، حِينَئِذٍ تَشْعُرُ بِنِعَمِ اللهِ، فَإِذَا مَا قَارَنْتَ نَفْسَكَ بِغَيْرِكَ مِنْ أَصْحَابِ الابْتِلاَءَاتِ، قُلْ لِي: أَيْنَ أَنْتَ مِنْهُمْ؟! فَابْتِلاؤُكَ يَسِيرٌ مُقَارَنَةً بِهِمْ، وَلَكِنْ مَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ أَنْ تَكُونَ وَفِيًّا مَعَ اللهِ؛ فَمِنَ الوَفَاءِ العَظِيمِ مَعَ اللهِ شُكْرُهُ عَلَى نِعَمِهِ، فَذِكْرُ الجَفَا بَعْدَ الوَفَا وَالصَّفَا جَفَا! لِذَا تَوَعَّدَ اللهُ جَاحِدَ نِعَمِهِ وَمَانِعَ خَيْرِهِ بِجَهَنَّمَ: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ} [ق 24-25] فَلاَ تَكْفُرْ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ نِعْمَةٍ شُكْرًا فَأَدِّ شُكْرَهَا، فَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ؛ فَبِالشُّكْرِ يَنْمُو الخَيْرُ وَالبَرَكَةُ فِي كُلِّ مَا تَمْلِكُهُ: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم 7] وَمَنْ كَفَرَ فَالعَذَابُ: {وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم 7] وَقَدْ فَضَّلَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ الغَنِيَّ الشَّاكِرَ عَلَى الفَقِيرِ الصَّابِرِ؛ لأَنَّهُ قَلَّمَا تَجِدُ غَنِيًّا شَاكِرًا إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ، فَإِنَّ الثَّرَاءَ دَاعِيَةُ الطُّغْيَانِ، وَالاسْتِغْنَاءُ عَنْ رَبِّ الأَنَامِ، فَرُبَّمَا يَنْشَغِلُ المُنَعَّمُ بِالنِّعْمَةِ عَنِ المُنْعِمِ العَظِيمِ سُبْحَانَهُ، وَكَثِيرٌ مَا هُمْ، انْشَغَلَ وَاسْتَغْنَى بِسَبَبِ مَالِهِ الكَثِيرِ وَسُلْطَانِهِ الكَبِيرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى} [العلق 6-7] وَلِبَقَاءِ النِّعْمَةِ أَسْبَابٌ وَجِيهَةٌ؛ مِنْهَا:

الأَوَّلُ: نِسْبَةُ النِّعْمَةِ إِلَى المنْعِمِ

فَتَعْتَرِفُ وَتُقِرُّ وتَقُولُ: هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي؛ فَمَا بِكَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ وَحْدَهُ.

الثَّانِي: عَدَمُ الانْشِغَالِ بِالنِّعْمَةِ عَنِ المنْعِمِ

فَهَا هُوَ سُلَيْمَانُ عَلَيهِ السَلاَمُ وَقَدْ ضَاعَتْ مِنْهُ صَلاَةُ العَصْرِ[1] حَيْثُ قَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ؛ وَخُيُولُهُ تُعْرَضُ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ أَلْفَ فَرَسٍ؛ فَعُرِضَ عَلَيْهِ مِنْهَا تِسْعمَائَة، فَتَنَبَّهَ لِصَلاَةِ العَصْرِ، فَإِذَا بِالشَّمْسِ قَد غَرَبَتْ، وَفَاتَتِ الصَّلاَةُ وَلَمْ يَعْلَمْ فَاغْتَمَّ لِذَلِكَ: {وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ} [ص 30-33] ثُمَّ قَالَ:

---

[1] () تفسير القرطبي- سورة ص- ذكر ذلك: الحسن والكلبي ومقاتل.

{رُدُّوهَا عَلَيَّ} أي: رُدُّوهَا لِي فَرُدَّتْ إِلَيْهِ، فَعَقَرَهَا بِسَيْفِهِ قُرْبَةً للهِ؛ إِذْ كَانَتْ مَأكُولَةً، وَبَقِيَ مِنْهَا مِائَةٌ؛ فَمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنَ الخَيْلِ العِتَاقِ مِنْ نَسْلِ تِلْكَ الخَيْلِ، فَعَاقَبَ نَفْسَهُ؛ حَتَّى لاَ تَشْغَلَهُ الخَيْلُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ، أي: الصَّلاَة: {فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [ص 30-33].

الثَّالِثُ: عَدَمُ التَّكَبُّرِ بِالنِّعْمَةِ عَلَى النَّاسِ

وَلَكَ فِي قَارُونَ مُعْتَبَرٌ؛ فيَكُون كِبْرُكَ سَبَبًا فِي فَنَائِهَا.

الرَّابِعُ: إِعْطَاءُ الحَقِّ مِنْهَا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ

وَلَكَ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الجَنَّةِ فِي سُورَةِ القَلَمِ خَيْرُ مُعْتَبَرٍ.

الخَامِسُ: الثَّنَاءُ عَلَى المنْعِمِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ قَوْلاً وَفِعْلاً

أَنْ تَكُونَ ذَاكِرًا شَاكِرًا حَامِدًا رَبَّ العَالَمِينَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ، وَمَظَاهِرُ الشُّكْرِ ثَلاَثَةٌ: التَّحَدُّثُ بِنَعَمِ اللهِ الظَّاهِرَةِ، وَالاعْتِرَافُ بِنَعَمِ اللهِ البَاطِنَةِ، وَالاسْتِعَانَةُ بِنَعَمِ اللهِ عَلَى طَاعَةِ المُنْعِمِ، أَيْ: تَصْرِيفُهَا فِيمَا يُرْضِي مُسْدِيَهَا وَوَاهِبَهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مَا سِرُّ نُزُولِ الابْتِلاَءَاتِ وَالعُقُوبَاتِ؟!

اللهُ يَبْتَلِي عَبْدَهُ؛ لِيُهَذِّبَهُ لا لِيُعَذِّبَهُ

اعْلَمْ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- أَنَّ اللهَ يَبْتَلِي الإِنْسَانَ؛ لِيُهَذِّبَهُ لا لِيُعَذِّبَهُ، نَعَمْ...فَرُبَّ رَجُلٍ مِنَّا كَانَ مُتَكَبِّرًا بِمَالِهِ أَوْ بِسُلْطَانِهِ أَوْ بِأَبْنَائِهِ، فَيَبْتَلِيهِ رَبُّهُ بِمَرَضٍ عُضَالٍ شَدِيدٍ؛ حَتَّى يُهَذِّبَهُ؛ لِيَرْجِعَ وَيَعُودَ إِلَى رُشْدِهِ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى طَرِيقِ اللهِ رَبِّ العَالَمِين؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً، فَالكِبْرِيَاءُ لَهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: مَا نَزَلَ بَلاَءٌ إِلا بِذَنْبٍ، وَمَا رُفِعَ إِلا بِتَوْبَةٍ، وَفِي القُرْآنِ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [الشورى 30] وَقَالَ تَعَالَى: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ} [آل عمران 11] وَقَالَ تعَالَى: {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [الأنعام 146]

الفَرْقُ بَيْنَ العُقُوبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَالعُقُوبَاتِ القَدَرِيَّةِ

وَيَجْدُرُ بِنَا هُنَا أَنَّ نُفَرِّقَ بَيْنَ العُقُوبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَالعُقُوبَاتِ القَدَرِيَّةِ؛ فَالعُقُوبَاتُ الشَّرْعِيَّةُ تَخُصُّ وَهِيَ إِقَامَةُ الحُدُودِ فِي الأَرْضِ عَلَى الزَّانِي وَالسَّارِقِ وَشَارِبِ الخَمْرِ و...الخ، وَذَلِكَ لِتَطْهِيرِهِمْ وَسَبَبٌ لِنُزُولِ الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ؛ فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ[1]: إِقَامَةُ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فِي بِلاَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَالحُدُودُ زَوَاجِرُ وَجَوَابِرُ، زَوَاجِرُ؛ لأَنَّهَا تَزْجُرُ الآخَرِينَ وَتَرْدَعُهُم عَنْ ارْتِكَابِ الكَبَائِرِ، وَجَوَابِرُ أَيْ: تَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَتَجْبُرُ كَسْرَ مُرْتَكِبِيهَا وَتُطَهِّرُهُمْ، أَمَّا العُقُوبَاتُ القَدَرِيَّةُ فَهِيَ عُقُوبَاتٌ تُعُمُّ المجتَمَعَ مِنْ أَمْرَاضٍ وَخِلاَفِهِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا} [النساء 123] وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ[2]: «يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ؛ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ؛ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمْ

---

1 () (صحيح): ابن ماجة 2537، النسائي 4905، صحيح الألباني 8/76.

2 () (صحيح): ابن ماجة 4019، صحيح الجامع 7978.

الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ؛ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ».

لَيْسَتْ ظَوَاهِرَ طَبِيعِيَّةً وَلَكِنْ..!

فَلا نُرِيدُ أَنْ نُجَمِّلَ المصِيبَةَ، وَلاَ نُرِيدُ أَنْ نَنْسِبَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى الطَّبِيعَةِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} [الرعد 11] فَهُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ المسْلِمِينَ لا يُبَالِي بِهَذِهِ الآيَاتِ، وَيُصَرِّحُ بِأَنَّهَا ظَوَاهِرُ طَبِيعِيَّةٌ وَلاَ عَلاقَةَ لَهَا بِالمَعَاصِي؛ فَالرَّسُولُ نَفْسُهُ كَانَ يَخَافُ الآيَاتِ وَيَلجَأُ إِلَى رَبِّهِ يَدْعُوهُ؛ فَهَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ لاَ يَفْهَمُ الظَّوَاهِرَ الطَّبِيعِيَّةَ؟! إِذًا.. فَكُلُّ شَيْءٍ لا يَقَعُ فِي هَذَا الكَوْنِ الفَسِيحِ إِلاَّ بِأَقْدَارِ اللهِ.. فَلَوْ نَزَلَت مُصِيبَةٌ فَاعْلَمْ أَنَّ هُنَاكَ مِنَ البَشَرِ خَلَلاً مَا وَقَعَ أَوْ ذَنْبًا ارْتُكِبَ، أَوْ بُعْدًا عَنْ ذِكرِ اللهِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى} [طه 124] فَمَا يُرْسِلُ رَبُّكَ آيَاتِهِ إِلاَّ تَخْوِيفًا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ: {وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا} [الإسراء 59] وَلَوْ أَنَّ اللهَ يُؤَاخِذُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ لأَهْلَكَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} [النحل 61] فَإِمْهَالُ اللهِ لَهُمْ رَحْمَةٌ؛ لِيَتُوبُوا، وَمَا رُفِعَ الذَّنْبُ إِلاَّ بِتَوْبَةٍ، وَشَاهِدِي مِنَ القُرْآنِ مَا حَدَثَ لِقَوْمِ يُونُسَ، قَالَ ابنُ جُبَيرٍ: عَشِيَهُمُ العَذَابُ كَمَا يَغْشَى الثَّوبُ الجِسْمَ؛ فَلَمَّا صَحَّت تَوبَتُهُم رَفَعَ اللهُ عَنْهُمُ العَذَابَ، قَالَ تَعَالَى: {فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} [يونس 98] قَالَ القُرْطُبِيُّ: لَمَّا وَعَدَهُمْ نَبِيُّهُمْ يُونُسُ العَذَابَ إِلَى ثَلاثَةِ أَيَّامٍ خَرَجَ عَنْهُم، فَاصْبَحُوا فَتَفَقَّدُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَتَابُوا قَبْلَ رُؤْيَةِ عَلامَةِ العَذَابِ، وَقَالَ الزَّجَاجُ: المعَايَنَةُ الَّتِي لا تَنْفَعُ مَعَهَا التَّوْبَةُ هِيَ التَّلَبُّسُ بِالعَذَابِ كَمَا حَدَثَ مَعَ فِرْعَوْنَ؛ لأَنَّهُ آمَنَ حِينَ رَأَى العَذَابَ وَأَيْقَنَ بِهِ، وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: لَوْ رَأَى قَوْمُ يُونُسَ عَيْنَ العَذَابِ مَا نَفَعَهُمُ الإِيمَانُ؛ لِذَا يُطْلَبُ مِنّا دَوَامُ التَّوْبَةِ: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور 31]؛

الفَرْقُ الدّقِيقُ بَيْنَ العُقُوبَةِ وَالابْتِلاَءِ

الابْتِلاَءُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عُقُوبَةً، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ابْتِلاَءً، فَعَلَيْنَا أَنْ نَنْظُرَ إِلَى حَالِ الشَّخْصِ؛ لِنَعْلَمَ هَلْ هَذَا ابْتِلاَءٌ حَلَّ بِهِ أَمْ عُقُوبَةٌ مِنَ اللهِ إِلَيْهِ؟! وَلَكِنْ نَسْتَطِيعُ -الآنَ- إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى التَّفْرِقَةَ بَيْنَ العُقُوبَةِ وَالابْتِلاَءِ فِي النِّقَاطِ الآتِيَةِ [1]:

الابْتِلاَءُ اخْتِبَارُ وَالعُقُوبَةُ هِيَ الجَزَاءُ المعَجَّلُ

العُقُوبَةُ هِيَ الجَزَاءُ المعَجَّلُ الَّذِي يَقَعُ عَلَى النَّاسِ نَتِيجَةَ الفَشَلِ فِي الاخْتِبَارِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا الشَّخْصُ كَافِرًا فَاجِرًا مَثَلاً فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ عُقُوبَةٌ عَظِيمَةٌ؛ أَلَمَّتْ بِهِ وَلَنْ يَنْجُوَ مِنْهَا، فَانْظُرْ مَثَلاً إِلَى حَالِ قَارُونَ وَفَشَلِهِ الذَّرِيعِ؛ وَمَاذَا فَعَلَ؟! فَكَانَتِ النَّتِيجَةُ: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} [القصص 81]. وَكَذَلِكَ عَادٍ حِينَمَا اسْتَكْبَرُوا، وَلَقَدْ ذَكَرَ اللهُ قِصَّتَهُمْ فِي القُرْآنِ، قَالَ اللهُ -تَعَالَى- فِي شَأْنِ أَعْظَمَ مُتَكَبِّرِي الأَرْضِ وَالَّذِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهُم فِي البِلاَدِ: {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [فصلت 15]. وَالشَّوَاهِدُ فِي القُرْآنِ مُتَعَدِّدَةٌ عَلَى ذَلِكَ؛ فَالابْتِلاَءُ هُوَ عَمَلِيَّةُ الاخْتِبَارِ نَفْسُهَا، فَالابْتِلاَءُ مُقَدِّمَةٌ، وَالعُقُوبَةُ نَتِيجَةٌ.

الابْتِلاَءُ وُقُوفُ أَمَامَ الأَسْبَابِ، وَالعُقُوبَاتُ نَاتِجَةٌ عَنِ الانْحِرَافِ

الابْتِلاَءُ مِنْ مَجَالاَتِهِ الوُقُوفُ أَمَامَ الأَسْبَابِ وَالمسَبَّبَاتِ وَالأَخْذِ بِهَا، وَالعُقُوبَاتُ نَاتِجَةٌ عَنِ الانْحِرَافِ بِالفِعْلِ؛ وَيَحْضُرُنِي هُنَا أَصْحَابُ الجَنَّةِ اليَمَنِيَّةِ كَمَا وَرَدَ ذِكْرُهَا فِي سُورَةِ القَلَمِ، وَمَاذَا فَعَلُوا؟! حِينَمَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ عَنِ الفُقَرَاءِ وَالمسَاكِينِ، فَكَانَتِ العَاقِبَةُ وَخِيمَةً قَالَ اللهُ: {فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ} [القلم 19-21]

---

[1] () مستفاد من كتاب الدكتور / محمد السيد موسى (محاضرات تحليلية).

الابْتِلاَءُ مَرْجِعُــهُ الاسْــتِقَامَة، أَمَّــا العُقُوبَــةُ فَمَرْجِعُهَا إِلَى زِيَادَةِ الفِسْقِ

الإِيمَانُ وَالاسْتِقَامَةُ عَلَى المِنْهَجِ القَوِيمِ وَالدِّينِ العَظِيمِ سَبَبٌ فِي الابْتِلاَءِ؛ لِذَا فَالأَنْبِيَاءُ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ ابْتِلاَءً ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ؛ أَيْ: إِنْ كَانَ الشَّخْصُ صَالِحًا تَقِيًّا فَاعْلَمْ أَنَّ مَا نَزَلَ بِهِ هُوَ عَيْنُ الابْتِلاَءِ، فَرَسُولُ اللهِ مَثَلاً -كَمَا ذَكَرْتُ- وَمَا حَدَثَ لَهُ هُوَ وَصَحَابَتِهِ الأَبْرَارِ ابْتِلاَءٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ[1]: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ؛ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ؛ فَمَا» أَمَّا العُقُوبَةُ فَمَرْجِعُهَا وَسَبَبُهَا يَعُودُ إِلَى الانْحِرَافِ وَزِيَادَةِ الفِسْقِ.ا يَبْرَحُ البَلاَءُ بِالعَبْدِ؛ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ

الابْتِلاَءُ طَرِيقٌ للتَّمْكِينِ؛ بَيْنَمَا العُقُوبَةُ حِرْمَانٌ مِنْهَا

الابْتِلاَءُ طَرِيقٌ لِلإِمَامَةِ وَالتَّمْكِينِ؛ بَيْنَمَا العُقُوبَةُ حِرْمَانٌ مِنْهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} [البقرة 124] فَنَبِيُّ اللهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَكَّنَ اللهُ لَهُ وَجَعَلَهُ إِمَامًا، بَيْنَمَا آخَرُونَ فَشِلُوا فِي الاخْتِبَارِ، فَلَمْ يَنَالُوا عَهْدَ اللهِ؛ لِظُلْمِهِمْ.

الابْتِلاَءُ قَائِمٌ عَلَى حُبِّ اللهِ، والعُقُوبَةُ عَلَى غَضَبِهِ

الابْتِلاَءُ قَائِمٌ عَلَى حُبِّ اللهِ وَطَاعَتِهِ، بَيْنَمَا العُقُوبَةُ إِشَارَةٌ إِلَى غَضَبِ اللهِ تَعَالَى وَسَخَطِهِ؛ لِذَا لَوْ نَزَلَ بِكَ بَلاَءٌ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- فَلَنْ أَجِدَ لَكَ عِلاَجًا يَسِيرًا فِي القُرْآنِ يَتَنَاسَبُ وَمُصِيبَتَكَ إِلاَّ هَذِهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ} [غافر 55] وَيَحْضُرُنِي هُنَا قَوْلُ ابْنِ القَيِّمِ: إِنَّ لِلسَّعَادَةِ ثَلاَثَةَ مُقَوِّمَاتٍ: إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَاصْبِرْ؛ فَمَا أَعْظَمَ الصَّبْرَ! وَاذْكُرْ وَاشْكُرْ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ؛ فَمَا أَحْسَنَ الذِّكْرَ وَالشُّكْرَ وَقْتَ المصِيبَةِ! لِتَطْمَئِنَّ القَلْبُ بِذِكْرِ خَالِقِهِ وَلاَ يَجْزَعْ، وَمَا أَجْمَلَ الاسْتِغْفَارَ مُصَاحِبًا لِلذِّكْرِ! وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ تَحْدُثُ؛ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ؛

---

[1] () (صحيح): أحمد 1610، الترمذى 2398، صحيح الجامع 992.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: {لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ} [النجم 58] فَعَلَيْنَا أَنْ نُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِنَا إِلَى الأَحْسَنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} [الرعد 11] (مَا) الأُولَى فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ بِمَعْنَى: الَّذِي عَائِدَةٌ عَلَى الابْتِلاَءِ بِالنِّعَمِ وَالنِّقَمِ، أَمَّا (مَا) الثَّانِيَةُ عَائِدَةٌ عَلَى مَا فِي القَوْمِ مِنْ ذُنُوبٍ يَرْتَكِبُونَهَا؛ فَتَنْزِلُ -بِسَبَبِهَا- العُقُوبَةُ؛ سَوَاءٌ فَعَلُوهَا هُمْ أَوْ غَيْرُهُم مِنْ قَوْمِهِمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ فِيهِمْ فَيَهْلِكُ -حِينَئِذٍ- القَوْمُ كُلُّهُمْ؛ الصَّالِحُونَ مِنْهُمْ وَالمفسِدُونَ ثُمَّ يُبْعَثُ كُلٌّ مِنْهُم عَلَى نِيَّاتِهِ.

الابْتِلاَءُ يَجْمَعُ الأُمَّةَ، وَالعُقُوبَةُ سَبَبٌ فِي تَشْتِيتِهَا

الابْتِلاَءُ يَهْدِفُ إِلَى تَجْمِيعِ الأُمَّةِ وَتَوْحِيدِهَا؛ فَعِنْدَمَا تَعُمُّ البَلْوَى وَيَشْتَدُّ الابْتِلاَءُ يَتَكَاتَفُ النَّاسُ فِي المِحَنِ؛ أَمَّا العُقُوبَةُ فَهِيَ سَبَبٌ فِي تَشْتِيتِهَا وَضَرْبِ قُلُوبِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} [المائدة 14]

الابْتِلاَءُ يَحْتَاجُ إِلَى تَقْوَى وَصَبْرٍ، وَالعُقُوبَةُ إِلَى تَوْبَةٍ وَاستِغْفَارٍ

الابْتِلاَءُ يَحْتَاجُ إِلَى تَقْوَى وَصَبْرٍ: {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف 90] بَيْنَمَا العُقُوبَةُ تَحْتَاجُ إِلَى تَوْبَةٍ وَاستِغْفَارٍ وَعَوْدَةٍ إِلَى الْتِزَامِ الطَّرِيقِ المسْتَقِيمِ مِنْ جَدِيدٍ.

مَنْ أَنْتَ مِنْ هَؤُلاَءِ وَقْتَ نُزُولِ البَلاَءِ؟!

اعْلَمْ أَيُّكَ -أَمَامَ المصِيبَةِ- وَاحِدٌ مِنْ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ جَزِعًا، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ صَابِرًا، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ رَاضِيًا، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ شَاكِرًا.

أَوَّلاً: الجَزِعُ

فَأَمَّا الجَزِعُ فَهُوَ شَرُّهُمْ، وَأَبْغَضُهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَأَعْظَمُهُمْ خَسَارَةً فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ؛ فَهُوَ سَاخِطٌ نَاقِمٌ عَلَى قَدَرِ اللهِ وَقَضَائِهِ، تَقُولُ: جَزِعَ فُلانٌ، أَيْ: لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا نَزَلَ بِهِ، وَلَمْ يَنْقَطِعْ لِسَانُهُ عَنِ الشَّكْوَى؛ يَلْطِمُ الخُدُودَ، وَيَفْعَلُ أَفْعَالَ الجَاهِلِيَّةِ، وَيَغْضَبُ بِشِدَّةٍ؛ وَغَضَبُهُ لَنْ يُفِيدَهُ أَبَدًا؛ بَلْ إِنَّ غَضَبَهُ سَبَبُ هَلاَكِهِ، أَلاَ يَعْلَمُ هَذَا الجَازِعُ أَنَّ سَيِّدَ الأَوْفِيَاءِ صلى الله عليه وسلم- نَهَى الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ عَلَى السَّوَاءِ عَنْ ذَلِكَ؟! فَقَالَ صلى الله عليه وسلم[1]: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، ودَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» فَاحْذَرِ النِّيَاحَةَ وَالأَصْوَاتَ الملْعُونَةَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم[2]:«صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ: مِزْمَارٌ عِنْدَ نِعْمَةٍ وَرَنَّةٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ».

ثَانِيًا: الصَّابِرُ

وَأَمَّا الصَّابِرُ فَهُوَ بِصَبْرِهِ يَصِلُ إِلَى مَرْتَبَةٍ كَرِيمَةٍ، وَيُوَفَّى أَجْرَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر 10] فَاصْبِرْ وَاحْتَسِبْ؛ فَالصَّبْرُ أَنْوَاعٌ: فَالشَّجَاعَةُ صَبْرٌ عَلَى مَكَارِهِ الجِهَادِ، وَالعَفَافُ هُوَ الصَّبْرُ عَنِ الشَّهوَاتِ، وَالحِلمُ صَبْرٌ عَلَى المُثِيرَاتِ، وَالكِتْمَانُ صَبْرٌ عَنْ إِذَاعَةِ الأَسْرَارِ، فَثَوَابُ الصَّبْرِ أَعْظَمُ مِنَ الصَّبْرِ، وَلَوْ وَقَرَ هَذَا المفْهُومُ فِي قَلْبِ الصَّابِرِ لَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ حَيَاتُهُ كُلُّهَا ابْتِلاَءً، فَالجَنَّةُ دَرَجَاتٌ وَغُرَفٌ؛ قَالَ اللهُ: {وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً} [الإسراء 21] فَمَهْمَا صَبَرْتَ فَهَلْ هَذَا الصَّبْرُ مَهْمَا عَظُمَ يُسَاوِي الخُلُودَ فِي الجَنَّةِ وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ؟!.

مِحَنُ الفَتَى يُخْبِرْنَ وَالنَّارُ مُخْبِرَةٌ بِفَضْلِ

---

[1] () (صحيح): البخاري 1298، مسلم 103، الترمذى 999.

[2] () (حسن): صحيح الترغيب والترهيب 3527.

عَـنْ فَضْـلِ الفَتَـى العَنْبَـرِ
مـا قَـدْ مَضَـى يَـا نَفْـسُ فَاصْطَبِري لَـهُ
وَلَكِ الأَمَانُ مِنَ الَّذِي لَمْ يُقَدَّرِ
وَتَيَقَّنِي أَنَّ المقَـدَّرَ كَـائِنٌ حَتْمًا
عَلَيْـكَ صَبَرْتِ أَمْ لَـمْ تَصْبِرِي

وَالصَّبْرُ ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ؛ الصَّبْرُ عَلَى المأْمُورِ، أَيْ: مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَهُوَ صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللهِ؛ وَهُوَ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ! وَالصَّبْرُ عَلَى المحْظُورِ، أَيْ: الصَّبْرُ عَمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ، وَالصَّبْرُ عَلَى المقْدُورِ، أَيْ: مَا قَدَّرَهُ اللهُ تَعَالَى لَكَ.

ثَالِثًا: الرَّاضِي

وَأَمَّا الرَّاضِي فَهُوَ صَاحِبُ مَرْتَبَةٍ أَعْلَى مِنْ سَابِقَيْهِ، فَقَدْ صَبَرَ وَرَضِيَ بِقَضَاءِ اللهِ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِمَا حَلَّ بِهِ مِنْ قَدَرٍ وَقَضَاءٍ مِنْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَهُنَا أَذْكُرُك بِبِشَارَةِ النَّبِيِّ لَكَ -أَيُّهَا المبْتَلَى- أَنَّكَ حَبِيبُ مَوْلاكَ رَبِّ العَالَمِينَ، قَالَ النَّبِيُّصلى الله عليه وسلم[1]: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» وَأَنْتَ حَبِيبُ اللهِ وَهُوَ حَبِيبُكَ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة 165] فَيَأْتِي ابْتِلاؤُكَ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِكَ، قَالَ النَّبِيُّ: فَمَنْ رَضِيَ، وَلَمْ يَقُلْ: وَمَنْ يَصْبِرْ؛ فَالرِّضَا أَعْلَى دَرَجَةً مِنَ الصَّبْرِ! وَقَالَ: فَلَهُ السُّخْطُ، وَلَمْ يَقُلْ: فَعَلَيْهِ، دلالَةً عَلَى مُلازَمَةِ السّخْطِ لَهُ، تَقُولُ: لِمُحَمَّدٍ الكِتَابِ، فَالكِتَابُ مِلْكٌ لَهُ، فَكَأَنَّ السُّخْطَ مُلازِمٌ لَهُ لا يَبْرَحُهُ.

انْظُرْ إِلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ إِ أَحَدِ صَالِحِي زَمَانِهِ، يَأْتِيهِ رَجُلٌ؛ يَسْأَلُهُ قَائِلا لَهُ: يَا إِمَامُ أُرِيدُ أَنْ يَرْضَى اللهُ عَنِّي، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟! فَقَالَ سُفْيَانُ: إِنْ تَرْضَ عَنِ اللهِ يَرْضَ اللهُ عَنْكَ، كَلِمَاتٌ يَسِيرَةٌ لَكِنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ ذَلِكَ؟! فَقَالَ سُفْيَانُ/: عِنْدَمَا تُسَرُّ لِلنِّقْمَةِ كَسُرُورِكَ لِلنِّعْمَةِ، فَإِنَّهُمَا قَدَرَانِ مُقَدَّرَانِ مِنَ اللهِ عَلَيْكَ.

أَخِي الحَبِيبَ.. سَلْ نَفْسَكَ الآنَ: مَنْ مِنَّا يُسَرُّ لِلنِّعْمَةِ كَسُرُورِهِ لِلنِّقْمَةِ؟! أَيْ: تَفْرَحُ بِالمصِيبَةِ مِثْلَ فَرَحِكَ بِالبِشَارَةِ، وَالفَرَحُ هُنَا بِمَعْنَى الرِّضَا؛ فَكِلاهُمَا قَدَرٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْكَ، قَالَ ابنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

---

[1] () (صحيح): أبو داود 4456، صحيح الجامع 2110.

وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [المائدة119] لَيْسَ العَجَبُ مِنْ قَوْلِهِ: {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} وَإِنَّمَا العَجَبُ مِنْ قَوْلِهِ: {وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} فَالفَوْزُ العَظِيمُ لَنْ يَأْتِيَ إِلاَّ بِالرِّضَا؛ فَمَنْ يَرْضَ بِقَدَرِ اللهِ وَقَضَائِهِ يَرْضَ اللهُ عَنْهُ، وَأَذَكِّرُكَ وَنَفْسِي بِهَذَا الحَدِيثِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ[1]: «إِنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟! فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ! فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي؛ فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا!» كُلُّ هَذَا الرِّضَا سَبَبُهُ طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ! أَيُّهَا الحَبِيبُ: سَيَأْتِي عَلَيْكَ يَوْمٌ يَقُولُ رَبُّكَ لَكَ: هَلْ رَضِيتَ؟! وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَكَ: لَقَدْ خَلَقْتُكَ وَسَوَّيْتُكَ وَسَدَّدْتُكَ وَوَفَّقْتُكَ وَهَدَيْتُكَ؛ فِي وَقْتٍ ضَلَّ فِيهِ المَلايِين، وَابْتَلَيْتُكَ فَصَبَّرْتُكَ وَأَرْضَيْتُكَ، وَثَبَّتُّكَ عَلَى الحَقِّ حَتَّى مِتَّ عَلَيْهِ، وَحَاسَبْتُكَ حِسَابًا يَسِيرًا، ثُمَّ أَدْخَلْتُكَ الجَنَّةَ بِسَلامٍ، ثُمَّ رَأَيْتَ وَجْهَ اللهِ، وَهَذَا أَقْصَى مَا تَتَمَنَّاهُ..فَاصْطَبِرْ، وَدَعْنِي أُبَشِّرُكَ بِهَذَا الحَدِيثِ؛ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم[2]: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ! فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟! أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟! قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ؛ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس26] وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَهْمَا عَظُمَتْ ذُنُوبُكَ فَعَفْوُ اللهِ أَعْظَمُ؛ فَأَقْبِلْ عَلَى رَبِّكَ وَأَبْشِرْ؛ وَمَنْ يَغْضَبْ فَلَنْ يَنَالَ رِضَاهُ، وَلا يَقَعُ إِلاَّ مَا أَرَادَهُ اللهُ، فَقَدَرُ اللهِ وَقَضَاؤُهُ يَمُرُّ بِعِدَّةِ مَرَاحِلَ قَبْلَ نُزُولِهِ: العِلْمِ؛ فَعَلِمَ اللهُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِعَبْدِهِ فُلانٍ فَاخْتَارَهُ لَهُ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، ثُمَّ يَكْتُبُهُ وَيَقْضِي بِهِ عَلَيْهِ؛ فَقَدَرُ اللهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ بَعْدُ، فَإِذَا نَزَلَ وَحَلَّ بِالعَبْدِ يُسَمَّى قَضَاءً، وَعَلَى العَبْدِ أَنْ يُقَابِلَهُ بِرَضًا؛ لأَنَّ تَمَرُّدَهُ لَنْ يُغَيِّرَ مِنْهُ شَيْئًا.

رَابِعًا: الشَّاكِرُ

وَأَمَّا الشَّاكِرُ فَهُوَ أَعْظَمُهُمْ جَمِيعًا؛ فَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ السَّابِقَيْنِ وَزَادَهُمْ أَمْرًا ثَالِثًا، صَبَرَ عَلَى البَلاءِ، وَرَضِيَ وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ لَهُ، وَشَكَرَ عَلَى نُزُولِهِ بِهِ، وَلَقَدْ اخْتَصَّ اللهُ

---

1 () (صحيح): البخارى 6549، مسلم 183، الترمذى 2555.

2 () (صحيح): أحمد 18456، مسلم 181، ابن ماجة 187.

نَفْسَهُ أَنْ يَجْزِيَهُ عَلَى شُكْرِهِ، فَقَالَ فِي آيَةٍ كَرِيمَةٍ -وَهَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ مُخْبِرَةً أَنَّ رَسُولَ اللهِ بَشَرٌ، وَكُلُّ نَفْسٍ بَشَرِيَّةٍ لاَبُدَّ وَأَنْ تَمُوتَ- قَالَ اللهُ لِرَسُولِهِصلى الله عليه وسلم: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} [الأنبياء 34] وَمَوْتُ النَّبِيِّصلى الله عليه وسلم أَعْظَمُ مُصِيبَةٍ ابْتُلِيَتْ بِهَا الأُمَّةُ، قَالَ رَسُولُ اللهِصلى الله عليه وسلم[3]: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ» نَعَمْ.. فَإِنَّكَ لَنْ تُصَابَ أَبَدًا بِفَقْدٍ أَعَزَّ مِنْهُ وَلاَ أَرْحَمَ وَلاَ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَالأَمْرُ شَدِيدٌ؛ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ عَلَى مَوْتِهِ وَرِضًا عَلَى قَضَاءِ اللهِ فِيهِ وَشُكْرٍ عَلَى إِرْسَالِ هَذَا النَّبِيِّ لِلأُمَّةِ, فَمَا فَعَلَ خَيْرًا إِلاَّ وَدَلَّكَ عَلَيْهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَمَا تَرَكَ شَرًّا قَطُ إِلاَّ وَحَذَّرَكَ مِنْهُ، وَتَرَكَكَ عَلَى المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ؛ وَهَدَاكَ إِلَى الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ؛ طَرِيقِ رَبِّ العَالَمِينَ، فَأَتَمَّ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَأَكْمَلَ بِهِ النِّعْمَةَ: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران 144] وَقَالَ أَيْضًا فِي الآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا: {وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} [آل عمران 145] وَالشَّاكِرُونَ هُمْ: كُلُّ مَنْ ثَبَتَ عَلَى سُنَّةِ النَّبِيِّ وَمَحَبَّتِهِ وَالْتِزَامِ أَخْلاَقِهِ، وَأَحْسَنَ مُعَامَلاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَلَمْ يَنْقُضْ عَهْدَهُ وَكَانَ وَفِيًّا للهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فِعْلَهُ وَصَبْرَهُ؛ وَجَزَاهُ خَيْرَ الجَزَاءِ، وَهَذَا الصِّنْفُ مِنَ البَشَرِ (الشَّاكِر) قَلِيلٌ جِدًّا كَمَا أَخْبَرَنَا مَوْلاَنَا: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ 13] فَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ رَبَّهُمْ عَلَى نِعَمِهِ العَظِيمَةِ؛ وَيَا حَبَّذَا لَوْ كُنْتُ عَبْدًا شَكُورًا حِينَئِذٍ تَكُونُ قَدْ وَصَلْتَ إِلَى دَرَجَةٍ عَظِيمَةٍ؛ فَالشَّاكِرُ الَّذِي يَشْكُرُ اللهَ عَلَى العَطَاءِ وَالرَّدِّ وَالنَّفْعِ وَالبَذْلِ، أَمَّا الشَّكُورُ هُوَ الَّذِي يَشْكُرُ اللهَ عَلَى العَطَاءِ وَالمَنْعِ مَعًا وَالبَلاَءِ، فَبِالشُّكْرِ يُرْفَعُ عَنْكَ العَذَابُ، وَيُضَاعَفُ الأَجْرُ وَيَزْدَادُ الثَّوَابُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَقَدْ قَرَنَ اللهُ الشُّكْرَ بِالإِيمَانِ، وَرَفَعَ -سُبْحَانَهُ- بِوُجُودِهِمَا مَعًا بِالعَذَابِ، فَقَالَ تَعَالَى: {مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء 147] وَقَرَنَهُ بِالذِّكْرِ فَقَالَ: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} [البقرة 152]

عِنْدَمَا مَاتَ عَلِيُّ بنُ الفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ[1]، وَكَانَ عَلِيٌّ يُصَلِّي بِالنَّاسِ فَقَرَأَ: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ} [الصافات 24]

---

3 () (صحيح): الدارمى 84، صحيح الجامع 347.

1 () هذه القصة ذكرها ابن كثير/ في (البداية والنهاية)، وابن تيمية-/ في كتابه (أولياء الرحمن...)

فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَمَاتَ، بَلَغَ الخَبَرُ أَبَاهُ الفُضَيْلَ فَصَبَرَ وَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ غَسَّلَهُ وَكَفَّنَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَفَنَهُ ثُمَّ انْصَرَفَ مُبْتَسِمًا، فَتَعَجَّبَ أَحَدُ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ أَتَضْحَكُ؟! قَالَ: نَعَمْ؛ شُكْرًا لِرَبِّي، إِنَّهُ الإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالقَدَرِ وَالصَّبْرُ وَالرِّضَا وَالشُّكْرُ فِي عِزِّ المَصِيبَةِ، فَللَّهِ مَا أَخَذ وللهِ مَا أَعْطَى؛ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ، وَلَكِنَّ خَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍصلى الله عليه وسلم، فَرَسُولُ اللهصلى الله عليه وسلمحَزِنَ عِنْدَ مَوْتِ وَلَدِهِ، وَهُوَ قُدْوَتُنَا، وَمَقَامُهُ أَعْلَى مَقَامَاتِ العُبُودِيَّةِ وَالتَّعَبُّدِ، وَهَذَا الأَمْرُ شُعُورٌ وَإِحْسَاسٌ دَاخِلِيٌّ قَوِيٌّ لاَ يَسْتَطِيعُ -غَالِبًا- أَنْ يَتَحَكَّمَ فِيهِ أَحَدُنَا، فَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَظْهَرَ عُبُودِيَّةَ الرَّحْمَةِ وَالرِّضَا فِي آنٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا أَمْرٌ يَتَنَاسَبُ وَطَبِيعَةَ البَشَرِ فِي عِزِّ الأَزَمَاتِ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِصلى الله عليه وسلم، أَمَّا الفُضَيْلُ فَقَدْ أَظْهَرَ عُبُودِيَّةَ الرِّضَا فَقَطْ، لَكِنِ الَّذِي نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَحَكَّمَ فِيهِ أَلاَّ نَفْعَلَ أَفْعَالاً لاَ تَلِيقُ وَإِيمَانَنَا، وَلاَ تَنْسَجِمُ وَهَدْيَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍصلى الله عليه وسلم، وَهَذَا القَوْلُ خُلاَصَةُ الأَمْرِ كُلِّهِ، فَاصْبِرْ وَاحْتَسِبْ؛ فَقَدَرُ اللهِ يَنْزِلُ بِحِكْمَةٍ دُونَ أَنْ يَعْلَمَ العِبَادُ تِلْكَ الحِكْمَةَ؛ لِذَا عِنْدَمَا ضَحِكَ أَحَدُ الزُّهَّادِ العُبَّادِ عِنْدَ وَفَاةِ عَزِيزٍ لَدَيْهِ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ، وَذَهَبُوا إِلَى ابْنِ تَيْمِيَةَ، وَقَالُوا لَهُ: كَيْفَ يَضْحَكُ هَذَا الرَّجُلُ وَالضَّحِكُ عَلاَمَةُ الفَرَحِ؟! وَكَيْفَ يَبْكِي رَسُولُ اللهِصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَوَالبُكَاءُ عَلاَمَةُ الحُزْنِ؟! فَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ: فِعْلُ نَبِيِّنَاصلى الله عليه وسلمأَكْمَلُ وَأَفْضَلُ؛ بِالرَّحْمَةِ بِالبُكَاءِ وَالرِّضَا والاسْتِكَانَةَ لِلْقَضَاءِ، أَمَّا الرَّجُلُ المَذْكُورُ لَمْ يُظْهِرْ سِوَى الرِّضَا بِالقَضَاءِ، وَلَمْ يَرْحَمْ نَفْسَهُ بِالبُكَاءِ! فَللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ عُبُودِيَّةٌ، وَعُبُودِيَّةُ اللهِ وَقْتَ المصِيبَةِ أَنْ يُظْهِرَ النَّاسُ لَهُ الخُشُوعَ وَالخُضُوعَ والاسْتِكَانَةَ لِلْقَضَاءِ، ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا} [الأنعام 42-43].

كَيْفَ يُوَاجِهُ المُؤْمِنُ الابْتِلاءَ؟!

اثْبُتْ عَلَى الإِيْمَانِ، وَاعْتَصِمْ بِاللَّهِ

إِذَا أَصَابَكَ مَكْرُوهٌ فَاصْبِرْ وَاحْتَسِبْ، وَاثْبُتْ عَلَى الإِيْمَانِ، وَاعْتَصِمْ بِاللهِ الوَاحِدِ الدَّيَّانِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [آل عمران 101] فَعَلَيْكَ مُوَاجَهَةُ الابْتِلاءِ بِالدُّعَاءِ وَالفِعْلِ مَعًا؛ أَمَّا الدُّعَاءُ فَقُلْ مِثْلَمَا قَالَ نَبِيُّكَ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم[1]: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي وَجَلاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا، قَالَ: فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلا نَتَعَلَّمُهَا؟! فَقَالَ: بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا».

اهْتَدِ بِهَدْيِ نَبِيِّكَ سَيِّدِ الأَنَامِ

وَأَمَّا الفِعْلُ فاهْتَدِ بِهَدْيِ نَبِيِّكَ سَيِّدِ الأَنَامِ، فَلَنْ تَجِدَ أَعْظَمَ مِنْهُ قُدْوَةً صلى الله عليه وسلم، فَيَا مَنْ تَصْبِرُ عَلَى قَضَاءِ اللهِ أَبْشِرْ، وَيَا مَنْ يَسْخَطُ عَلَى قَضَاءِ اللهِ أَقْصِرْ، فَلا تَغْضَبْ وَلا تَسْخَطْ؛ فَالغَضَبُ لَهُ عَوَاقِبُهُ السَّيِّئَةُ عَلَى الإِنْسَانِ، فَهُوَ يَجْعَلُ الإِنْسَانَ ثَائِرًا، لا يُفَكِّرُ بِهُدُوءٍ، وَلا يَعْقِلُ الأُمُورَ، لِذَلِكَ فَقَدْ أَوْصَى رَسُولُ اللهصلى الله عليه وسلمأَحَدَ صَحَابَتِهِ ا بِقَوْلِهِ[2]: «لا تَغْضَبْ، لا تَغْضَبْ، لا تَغْضَبْ» ذَلِكَ لأَنَّ رِضَاكَ أَوْ غَضَبَكَ لَنْ يُؤَخِّرَ أَوْ يُقَدِّمَ مِنْ قَدَرِ اللهِ شَيْئًا؛ وَالسَّبَبُ بِكُلِّ يُسْرٍ وَسُهُولَةٍ أَنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» فَالسَّمَوَاتُ السَّبْعُ فَوْقَهَا المَاءُ، وَفَوْقَ المَاءِ العَرْشُ، وَصَدَقَ رَبُّنَا إِذْ يَقُولُ: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا} [الأحزاب 38] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: {لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} [الأنفال 42] أَيْ: مِنْ رِزْقٍ وَأَجَلٍ وَمَرَضٍ وَصِحَّةٍ وَقَدَرٍ

---

1 () (صحيح): أحمد 3704، صحيح الترغيب والترهيب 1822.

2 () (صحيح): أحمد 6543، مسلم 2653، الترمذى 2156.

وَقَضَاءٍ فَكُلُّ شَيْءٍ مَكْتُوبٌ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَوَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ[1]: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ؛ وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ»

لِمَنْ تَشْكُو؟!

الصَّبْرُ عَلَى قَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ مِنْ حُسْنِ الإِيمَانِ بَلْ هُوَ رُكْنٌ رَكِينٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِيمَانِ، فَهَذِهِ أُمُورٌ كَتَبَهَا اللَّهُ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ قَبْلَ أَنْ تُوْلَدَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا شَكْوَى إِلا للهِ، أَتَشْكُو مَنْ إِلَى مَنْ؟! تَشْكُو اللهَ وَقَضَاءَهُ وَقَدَرَهُ الَّذِي نَزَلَ بِكَ إِلَى العِبَادِ، إِنَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ هُوَ الَّذِي يَرْفَعُهُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! تَشْكُو مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لا يَرْحَمُكَ، تَشْكُو اللهَ إِلَى عَبْدٍ فَقِيرٍ مِثْلِكَ، لا يَمْلِكُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْكَ ضُرًّا وَلا أَنْ يَجْلِبَ لَكَ نَفْعًا، وَفِي ذَلِكَ قِيلَ:

وإِذَا شَكَوْتَ إِلى ابْنِ آدَمَ؛ إِنَّمَا ... تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلى مَنْ لا يَرْحَمُ

الأَمْرُ لَيْسَ لِوَلِيٍّ وَلاَ لِنَبِيٍّ

وَاللهِ حَتَّى النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم صَاحِبِ المقَامِ العَظِيمِ عِنْدَ اللهِ العَلِيمِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا} [الجن 21] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: {قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ} [الأعراف 188]ـ فَالأَمْرُ لَيْسَ لِوَلِيٍّ وَلاَ لِنَبِيٍّ؛ إِنَّمَا الأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ الرَّبِّ العَلِيِّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأنعام 17] إِذًا..النَّافِعُ الضَّارُّ هُوَ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا} [الفرقان 3] وَقَدْ أَكَّدَ المعْصُومُصلى الله عليه وسلمهَذَا المفْهُومَ، فَاسْتَمِعْ لِرَسُولِ اللهصلى الله عليه وسلموَهُوَ يَقُولُ لابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَهُوَ غُلامٌ صَغِيرٌ؛ لِيُرَبِّيَهُ عَلَى الإِيمَانِ وَالتُّقَى وَالعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَمَا أَعْظَمَ حَاجَتَنَا اليَوْمَ إِلَيْهَا! فَنَشَأَ هَذَا الغُلامُ نَشْأَةً عَظِيمَةً؛ حَتَّى

[1] () (صحيح): البخارى 3208، مسلم 2643، أبو داود 4708.

صَارَ حَبْرَ الأُمَّةِ ا، وَرَسُولُ اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَأَكَّدَ هَذَا الْمَعْنَى، وَأَرْسَى هَذَا الْمَبْدَأَ الْعَظِيمَ، فَقَالَ[1]: «..وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» بَلْ كَانَ مِنْ دُعَائِهصلى الله عليه وسلم[2]«..اللهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ» وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ..» فَالنَّبِيُّ لَيْسَ بِرَازِقٍ؛ فَاسْمَعْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم[3]: «قَالَ مَا أُعْطِيكُمْ وَلا أَمْنَعُكُمْ، إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ؛ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ» فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَهُوَ الَّذِي يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، هَذِهِ الأُمُورُ كُلُّهَا مِنْ اخْتِصَاصِ مَوْلانَا سُبْحَانَهُ، فَوَاللهِ لَوْ صَحَّتْ عَقِيدَةُ النَّاسُ لَعَاشَ النَّاسُ فِي أَمْنٍ وَاطْمِئْنَانٍ وَإِيمَانٍ، وَلَيَكُنْ مَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَنْ يُقَدِّرَ اللهُ إِلا الْخَيْرَ، حِينَئِذٍ يَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي ثَبَاتٍ عِنْدَ نُزُولِ الْبَلاءِ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ.

يَا طَالِبًا مِنْ دَفِينٍ فِي الثَّرَى مَدَدًا
لَيْسَ الشَّرَابُ بِمُرْوٍ ظَامِئًا أَبَدًا[4]

كَيْفَ اتَّجَهْتَ إِلَى مَنْ مَاتَ تَسْأَلُهُ
سَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لاَ تَنْتَهِي عَدَدًا

إِنَّا وَإِيَّاهُ أَمْوَاتٌ وَيَا عَجَبًا
لِمَيِّتٍ يَبْتَغِي مِنْ مَيِّتٍ مَدَدًا

ارْجِعْ إِلَى اللهِ وَاسْأَلْهُ مَا شِئْتَ
فَهُوَ الَّذِي أَعْطَى الْوَرَى وَهَدَى

مُحَمَّدٌ وَهُوَ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ مَنْزِلَةً
لاَ يَمْتَلِكُ لِلْوَرَى ضَرًّا وَلاَ رَشَدَا

---

1 () (صحيح): أحمد 2444، صحيح الجامع 7957.
2 () (صحيح): أحمد 16397، صحيح الأدب المفرد 1/232.
3 () (صحيح): رواه أحمد 27372، البخارى 3117.
4 (1) من جُعْبَةِ الأخِ الفَاضلِ الأُستَاذِ: مُحمَّد إبْراهِيم المسَرِي؛ المدير العام بإدارة بلقاس التعليمية.

مِنِ ابْتِلاَءَاتِ النِّسَاءِ ..وَكَيْفَ صَبَرْنَ؟!

اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ ا قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم[1]: بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى، وَمَعْنَى عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى، أَيْ: عِنْدَ لَحَظَاتِ المَوْتِ الأُولَى مَعَ خُرُوجِ الرُّوحِ وَأَعْمَالِ تَكْفِينِ المُتَوَفَّى وَدَفْنِهِ فَهِيَ لَحَظَاتٌ حَرِجَةٌ شَدِيدَةٌ عَلَى أَهْلِهِ، وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَدَمُ التَّفَوُّهِ بِكَلِمَاتٍ تُغْضِبُ اللهَ عَلَى أَهْلِ المُتَوَفَّى وَقْتَهَا.

صَبْرُ أُمِّ المؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ

وَتِلْكُمُ امْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ صَابِرَةٌ شَاكِرَةٌ ثَانِيَةٌ وَهِيَ أُمُّ سَلَمَةَ لَ تُعَلِّمُنِي وَتُعَلِّمُكَ كَيْفَ نَصْبُرُ؟! وَلاَ عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ فَقَدْ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً، فَقَالَ: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ} [التحريم 11] إِنَّهَا أُمِّي وَأُمُّكَ، مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا أَبُو سَلَمَةَ ا فَقَالَتْ قَوْلاً يَعْجَزُ عَنْ قَوْلِهِ الرِّجَالُ وَقْتَ الشِّدَّةِ، فَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ البُكَاءُ المَصْحُوبُ بِعَدَمِ رِضًا وَسَخَطٍ وَعَوِيلٍ شَدِيدٍ، تَرَى اليَوْمَ الرَّجُلَ إِذَا أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ يَلْطِمُ خَدَّيْهِ -وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلا بِاللهِ- وَيَفْعَلُ فِعْلَ امْرَأَةٍ جَاهِلِيَّةٍ، أَلاَ يَتَعَلَّمُ هؤلاء كَيْفِيَّةَ الصَّبْرِ مِنْ أُمِّهِمْ أُمِّ سَلَمَةَ ل؟! اسْمَعْ مَاذَا قَالَتْ: (اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا) كَلِمَاتٌ بَسِيطَةٌ إِلا أَنَّهَا عَظِيمَةٌ، تَعَلَّمَتْهَا مِنْ حَبِيبِ قَلْبِهَا مُحَمَّدٍ، أَنْصِتْ إِلَيْهَا وَتَعَلَّمْ مِنْهَا وَهِيَ تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ[2]: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ} (اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا) إِلاَّ أَجَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ! أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

[1] () (صحيح): البخارى 1238، مسلم 926، أبو داود 3124.

[2] () (صحيح): مسلم 918، أبو داود 3119، الترمذى 977.

وَسَلَّمَتُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَقَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ؛ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ.. وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى قَوْلِهَا الْجَمِيلِ: فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللهِ، نَعَمْ.. أَخْلَفَهَا اللهُ خَيْرًا عَظِيمًا عَلَى صَبْرِهَا وَقَوْلِهَا، انْظُرْ كَيْفَ أَنْزَلَ اللهُ السَّكِينَةَ عَلَى قَلْبِهَا، فَتَزَوَّجَتْ بِمَنْ؟! تَزَوَّجَتْ بِرَسُولِ اللهِ مُحَمَّدٍصلى الله عليه وسلم؛ حَبِيبِ اللهِ وَأَكْرَمِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَسَيِّدِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَأَوَّلِ شَافِعٍ وَأَوَّلِ مُشَفَّعٍصلى الله عليه وسلم،وَأَوَّلِ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَصلى الله عليه وسلم، وَرَفَعَ اللهُ شَأْنَهَا مِنْ مُجَرَّدِ امْرَأَةٍ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ لِفَهِيَ أُمُّكِ قَبْلَ أَنْ تَلِدَكِ أُمُّكِ، فَهِيَ عِنْدِي وَعِنْدَكِ أَعْلَى مِنْ أُمِّنَا الَّتِي أَنْجَبَتْنَا، أَلَمْ يَقُلْ رَبُّنَا فِي شَأْنِهَا وَشَأْنِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ): {وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب 6] فَإِذَا اشْتَدَّ بِكَ الخَطْبُ فَلا تَهْتَزَّ، وَاسْتَمْسِكْ بِالإِيْمَانِ، وَاعْتَصِمْ بِالوَاحِدِ الدَّيَّانِ، فَيَكُونُ إِيْمَانُكَ أَشَدَّ -بِإِذْنِ اللهِ- مِنْ أَيِّ خَطْبٍ، وَادْعُ اللهَ أَنْ يُثَبِّتَكَ عَلَى دِيْنِهِ، فَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ أَفْسَدُوا إِيْمَانَهُم بَعْدَ ابْتِلائِهِم!.

هِيَ الدَّارُ مَا الآمَالُ إِلاَّ فَجَائِعُ ... عَلَيْهَا وَلاَ اللَّذَّاتُ إِلاَّ مَصَائِبُ
فَلاَ تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ فِيهَا بِغِرَّةٍ ... عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ
أَلاَ إِنَّمَا الدُّنْيَا نَضَارَةُ أَيْكَةٍ ... إِذَا اخْضَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ

وَيَا حَبْذَا لَوْ دَعَوْتَ اللهَ، مِثْلَمَا كَانَ يَدْعُو رَسُولُ اللهِ، حَيْثُ كَانَصلى الله عليه وسلمِيُكْثِرُ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ[1]: «يَا مُثَبِّتَ القُلُوبِ؛ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ» فَارْتَعَدَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِوَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ إِنَّ القُلُوبَ تَتَقَلَّبُ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِصلى الله عليه وسلم: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ؛ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ؛ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ» وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا بِكَ مِنْ ضِيقٍ وَابْتِلاءٍ، فَإِنَّ عَلِمْتَ ذَلِكَ فَقَدْ تَعَزَّيْتَ وَصَبَرْتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ نَبِيِّهِ: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} [الحجر 15] فَاصْبِرْ.. وَتَعَلَّمْ كَيْفَ يَكُونُ الصَّبْرُ؟!.

---

[1] () (صحيح): أحمد 25980, صحيح الجامع 4801.

أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟!

امْرَأةٌ أُخْرَى عَظِيمَةٌ مِنْ فُضْلَيَاتِ النِّسَاءِ صَبْرًا وَطَاعَةً للهِ؛ إِنَّهَا امْرَأةٌ مِنَ الْجَنَّةِ؛ فَفِي حَدِيثِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ ا قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ[1]: أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟! قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّصلى الله عليه وسلموَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ» قَالَتْ: أَصْبِرُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا، وَكَانَتْ إِحْدَى مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ أَنَّهُ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ؛ إِذَا دَعَا رَبَّهُ اسْتَجَابَ لَهُ فَوْرَ دُعَائِهِ كَمَا عَدَّ ذَلِكَ ابنُ تَيْمِيةَ[2] فِي مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّصلى الله عليه وسلم.. سُبْحَانَ اللهِ! تَصْبِرُ عَلَى الْمَرَضِ وَلا تَصْبِرُ عَلَى التَّكَشُّفِ؛ إِنَّهَا مِنْ أَكْمَلِ النِّسَاءِ عَقْلاً؛ طَلَبَتِ الْجَنَّةَ فَفَازَتْ بِهَا؛ فَأَصَابَتْ -فِي خِيَارِهَا الْجَنَّةَ- إِصَابَةً بَالِغَةً؛ وَالْمَرْأَةُ هِيَ سَعِيرَةُ الأَسَدِيَّةُ، وَأَتَكَشَّفُ بِمَعْنَى: أَخْشَى أَنْ تَظْهَرَ عَوْرَتِي، وَأَنَا لا أَشْعُرُ؛ وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ عِبْرَةٌ لِلنِّسَاءِ، رَغْمَ مَرَضِهَا اجْتَهَدَتْ فِي سِتْرِ نَفْسِهَا وَبَدَنِهَا، وَالْعَجِيبُ أَنَّ نِسَاءَنَا يَجْتَهِدْنَ فِي كَشْفِ عَوْرَاتِهِنَّ وَهُنَّ غَيْرُ مَعْذُورَاتٍ فِي ذَلِكَ؛ أَمَّا هَذِهِ الْمَرْأَةُ فَتَتَكَشَّفُ بِعُذْرِ الْمَرَضِ؛ فَيَا مَنْ تَتَكَشَّفِينَ بِلا صَرَعٍ، أَلا تَخَافِينَ أَنْ تَتَكَشَّفِي وَأَنْتِ مَرِيضَةٌ بِالصَّرَعِ؟! فَاللهُ قَادِرٌ لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ؛ وَلَكِنَّهُ يُمْهِلُ وَلا يُهْمِلُ، فَيَا أَيَّتُهَا الْمُسْلِمَاتُ اسْتُرْنَ أَنْفُسَكُنَّ يَسْتُرْكُنَّ اللهُ، آهٍ..آهٍ لَوْ رَأَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ -الْيَوْمَ- فَتَيَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُنَّ فِي سُفُورِهِنَّ وَتَبَرُّجِهِنَّ الْمُشِينِ، وَهُنَّ يَعْلَمْنَ أَنَّ سِمَاتِ الثَّوْبِ الإِسْلامِيِّ أَلا يَصِفَ، وَأَلا يَكْشِفَ وَأَلا يَشِفَّ، فَيَا مَنْ تَتَكَشَّفِينَ اتَّقِ اللهَ قَبْلَ لِقَاءِ اللهِ.

وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَحْضُرُنِي صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ قَدِمَ إِلَى رَسُولِ اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَكَمَا فَعَلَتِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ؛ لِيَدْعُوَ اللهَ لَهُ، وَلَكِنَّ الْمَرْأَةَ السَّوْدَاءَ كَانَتْ أَعْظَمَ فِقْهًا مِنْ هَذَا الصَّحَابِيِّ؛ فَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ رَجُلاً ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلمفَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ[3]:«إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ؛ قَالَ: فَادْعُهْ، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

---

1 () (صحيح): البخارى 5652، مسلم 2576، أحمد 3230.

2 () ذكر ابن تيمية ما يَرْبُو عَلَى ألفِ معجزة لرسول الله.

3 () (صحيح) الترمذي 3578، صحيح الجامع 1279.

وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ؛ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ؛ لِتُقْضَى لِيَ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ».

أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم: هُنَا مَحْذُوفٌ مُقَدَّرٌ مِنَ الكَلاَمِ كَمَا قَالَ أَهْلُ العِلْمِ، أَيْ: أَسْأَلُكَ بِإِيمَانِي بِنَبِيِّي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم, وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِدُعَاءِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

إِنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ

لَقَدْ وَصَفَ اللهُ نِسَاءَ الجَنَّةِ بِأَنَّهُنَّ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ فَقَالَ اللهُ: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} [الرحمن 72] وَوَصَفَهُنَّ أَيْضًا: بِأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ، أَيْ: مَخْفِيٌّ، فَقَالَ اللهُ: {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ} [الصافات 49] فَكُونِي كَالجَوْهَرَةِ المَصُونَةِ المَكْنُونَةِ، وَلاَ تُظْهِرِي مِنْ جِسْمِكِ شَيْئًا لِلذِّئَابِ؛ فَتَقَعِي فَرِيسَةً سَائِغَةً لَهُم، وَاعْلَمِي -عِلْمَ اليَقِينِ- أَنَّهُ لاَ يَسْتَوِي المُتَبَرِّجَاتُ السَّافِرَاتُ مَعَ الشَّرِيفَاتِ الطَّاهِرَاتِ، شَتَّانَ شَتَّانَ بَيْنَهُمَا، لاَ..لاَ يَسْتَوِيَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} [القلم 35] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: {أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ} [السجدة 18] فَانْظُرِي إِلَى أَيِّ فَرِيقٍ تُحِبِّينَ أَنْ تَنْتَمِي إِلَيْهِ! فَيَا أَيَّتُهَا المُسْلِمَةُ اتَّخِذِي مِنْ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ) مَثَلاً أَعْلَى لَكِ؛ حَتَّى تَلْحَقِي بِهِنَّ فِي الجَنَّةِ؛ لأَنَّ نِسَاءَ الجَنَّةِ مَسْتُورَاتٌ وَعَفِيفَاتٌ، أَتُرِيدِينَ أَنْ تَدْخُلِي -وَأَنْتِ فِي قِمَّةِ تَبَرُّجِكِ الجَاهِلِيِّ- إِلَى الجَنَّاتِ مَعَ العَفِيفَاتِ؟!.

يَا ابْنَتِي إِنْ أَرَدْتِ آيَةَ حُسْنٍ ... وَجَمَالاً يَزِينُ جِسْمًا وَعَقْلاً
فَانْبُذِي عَادَةَ التَّبَرُّجِ نَبْذًا ... فَجَمَالُ النُّفُوسِ أَسْمَى وَأَغْلَى
يَصْنَعُ الصَّانِعُونَ وَرْدًا وَلَكِنْ ... وَرْدَةُ الرَّوْضِ لاَ تُضَارَعُ شَكْلاً

أَيُّهَا الحَبِيبُ بِمَنْ تَسْتَغِيثُ وَقْتَ الشِّدَّةِ؟!

إِنْ قَدَّرَ اللهُ قَدَرًا وَنَزَلَ بِكَ فَاسْتَغِثْ بِاللهِ أَنْ يُثَبِّتَ قَلْبَكَ عَلَى الحَقِّ، وَيَهْدِيَكَ وَيَكْشِفَ عَنْكَ، قَالَ تَعَالَى: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [النمل 62] فَحِينَئِذٍ مَنْ يُجِيبُكَ غَيْرُهُ؟! فَالإِنْسَانُ إِذَا وَقَعَ فِي مُصِيبَةٍ بَثُّوهُ عَقْلُهُ، وَيَضِيعُ فِكْرُهُ، وَلاَ يَسْتَحْضِرُ ذِهْنُهُ فِي هَذَا المَجَالِ إِلاَّ كُلَّ مَنْ يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ، وَيَدْعُو كُلَّ مَحْبُوبٍ إِلَيْه مُقَرَّب.. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟!

نُمُوذَجٌ مِنَ العَصْرِ الجَاهِلِيِّ!

قَالَ عَنْتَرَةُ فِي عَبْلَةَ؛ وَالمعْرَكَةُ قَائِمَةٌ عَلَى قَدَمٍ وَسَاقٍ:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا ... أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الأَدْهَمِ[1]

فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لأَنَّهَا ... لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المتَبَسِّمِ

إِنَّهُ تَذَكَّرَ امْرَأَةً ضَعِيفَةً؛ لِيُصِيبَهُ الحَمَاسُ أَوْ لِيَسْتَمِدَّ مِنْ ذِكْرِهَا القُوَّةَ؛ لأَنَّهَا مَحْبُوبَتُهُ، أَمَّا أَنْتَ -أَيُّهَا المُوَحِّدُ- فَانْظُرْ مِمَّنْ تَسْتَمِدُّ القُوَّةَ؟! الإِجَابَةُ: أَسْتَمِدُّ القُوَّةَ مِنْ صَاحِبِ القُوَّةِ كُلِّهَا، مِنَ اللهِ، أَتَدْرِي لِمَاذَا؟! لِتَعْلَمَ أَنَّ لَكَ رَبًّا تَلْجَأُ إِلَيْهِ وَقْتَ كَرْبِكَ، لأَنَّ القُوَّةَ لِلهِ جَمِيعًا، فَحَبِيبُكَ اللهُ، وَالقَوِيُّ القَاهِرُ هُوَ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [البقرة 165] لِذَا قَالَ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ صَحَابَةِ النَّبِيِّ الأَمِينِ وَقْتَ المعْرَكَةِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال 45] لِيَنْزِعَ الدُّنيَا مِنْ قُلُوبِهِم وَقْتَ الأَزْمَةِ وَالقِتَالِ، وَهُمْ -حِينَئِذٍ- لَيْسَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ المَوْتِ إِلاَّ دَقَائِقُ مَعْدُودَةٌ بَلْ أَقَلُّ، كُلٌّ مِنْهُم يَذْهَبُ إِلَى القِتَالِ، وَهُوَ مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّهُ لَوْ مَاتَ وَاحِدٌ فِي المعْرَكَةِ فَسَيَكُونُ هُوَ هَذَا الوَاحِد، يَفْقِدُ حَيَاتَهُ؛ وَهِيَ أَعْلَى مَا يَمْلِكُهُ الإِنْسَانُ فِي الدُّنيَا، حَتَّى يَمُوتُوا عَلَى التَّوْحِيدِ الخَالِصِ.

---

[1] () الأشطان: جمع شطن وهو حبل البئر، وشبه الرمح به؛ لطوله، اللبان: الصدر، الأدهم: الفرس الأسود.

مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ اللَّهِ؟!

هَكَذَا وَقْتَ الأَزْمَةِ يَدْعُو كُلٌّ مِنَّا كُلَّ مَحْبُوبٍ إِلَيْهِ مُقَرَّبٍ؛ لِيَنْصُرَهُ قَائِلاً: أَغِثْنِي؛ فَمَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ اللهِ؟! لاَ يَمُوتُونَ فِي سَبِيلِ النِّسَاءِ مِيتَةَ الجَاهِلِيَّةِ؛ إِنَّمَا يَمُوتُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، تَعَلَّمْ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ سَيِّدِ الأَوْفِيَاءِ، اسْتَمِعْ إِلَيْهِم وَهُمْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، يَسْتَغِيثُونَ رَبَّهُم مُدَبِّرَ أُمُورِهِم وَنَاصِرَهُم عَلَى عَدُوِّهِم، قَالَ اللهُ فِي شَأْنِهِم: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال 9] فَمَقَالِيدُ المَعَارِكِ كُلُّهَا بِيَدِ مَنْ؟! بِيَدِ المَوْلَى جَلَّ وَعَلاَ؛ فَاللهُ يُؤَيِّدُ مُؤْمِنًا وَلاَ يُؤَيِّدُ كَافِرًا، لِذَا لَنْ تَجِدَ مَعْرَكَةً انْتَصَرَ فِيهَا المُسْلِمُونَ إِلاَّ وَهُمْ قِلَّةٌ، وَمَا غَزْوَةُ حُنَيْنٍ مِنَّا بِبَعِيدٍ، عِنْدَمَا أَعْجَبَتِ المُسْلِمِينَ كَثْرَتُهُم، فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُم مِنَ اللهِ شَيْئًا: {وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الأنفال 26] وَلَمْ يَقُلْ: ضُعَفَاءَ؛ فَالعَدُوُّ هُوَ الَّذِي اسْتَضْعَفَكُمْ، وَلَكِنَّكُم أَنْتُمْ -فِي حَقِيقَةِ الأَمْرِ- أَقْوِيَاءُ بِإِيمَانِكُم وَنَبِيِّكُم وَقَبْلَهُمَا بِمَعِيَّةِ رَبِّكُم، فَإِنَّ هَذَا المَفْهُومَ وَقَرَ فِي قُلُوبِ الصَّحَابَةِ، إِنَّهَا العَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ، فَلاَ اسْتِغَاثَةَ وَلاَ ذِكْرَ إِلاَّ للهِ مَعَ أَخْذٍ كَامِلٍ بِالأَسْبَابِ؛ لِتَدْخُلَ فِي مَعِيَّةِ اللهِ، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ اللهُ فَمَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَنْ فَقَدَ مَعِيَّةَ اللهِ فَقَدَ كُلَّ شَيْءٍ، فَكُنْ للهِ كَمَا يُرِيدُ يَكُنْ لَكَ فَوْقَ مَا تُرِيدُ.

فَالإِنْسَانُ بِطَبِيعَتِهِ خُلِقَ ضَعِيفًا؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا} [النساء 28] أَيْ: قَلِيلُ الصَّبْرِ عَلَى المَشَاقِّ، هَكَذَا خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى، كَلِمَةٌ حَسَنَةٌ تُفْرِحُهُ، وَكَلِمَةٌ سَيِّئَةٌ تُؤْذِيهِ وَتَجْرَحُهُ، وَمَرَضٌ بَسِيطٌ يُلِمُّ بِهِ رُبَّمَا يَسْتَفْحِلُ خَطَرُهُ فَيَقْتُلُهُ، لِذَا فَهُوَ فِي حَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَنْصُرُهُ وَقْتَ عَوْثِهِ، وَلاَ يَتَخَلَّى عَنْهُ، وَإِلَى مَنْ يُؤَيِّدُهُ وَقْتَ ضَعْفِهِ، وَإِلَى مَنْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ وَقْتَ أَزْمَتِهِ، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ -فِي مُجْتَمَعِهِ- وَاحِدًا فَرْدًا، الَّذِي يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ هُوَ اللهُ رَبُّ الأَرْبَابِ الوَاحِدُ الأَحَدُ، فَهُوَ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ، وَجَمِيعُ الخَلاَئِقِ تَحْتَاجُ إِلَى الفَرْدِ الصَّمَدِ؛ وَهَا هُوَ أَعْظَمُ كَافِرٍ وَهُوَ فِرْعَوْنُ -وَقْتَ شِدَّتِهِ- اسْتَغَاثَ بِاللهِ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ، وَقَالَ لَهُمْ فِي غُرُورٍ شَدِيدٍ: {يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص 38] تَرَاهُ الآنَ حِينَمَا أَتَاهُ الغَرَقُ -وَهُوَ الَّذِي ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ وَالأُلُوهِيَّةَ- يَسْتَغِيثُ بِاللهِ مُعْلِنًا إِيمَانَهُ لِلْمَرَّةِ الأُولَى وَالأَخِيرَةِ! قَالَ اللهُ تَعَالَى: {حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس 90].

الأُمُورُ كُلُّهَا بِيَدِ اللَّهِ

أَمَّا الْمؤْمِنُ الحَقُّ مَهْمَا أُوتِيَ مِنْ ضَعْفٍ فَهُوَ قَوِيٌّ بِاللهِ، وَمَهْمَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ فَهُوَ ضَعِيفٌ فَقِيرٌ إِلَى عَفْوِ مَوْلاَهُ؛ لأَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ الأُمُورُ كُلُّهَا هُوَ اللهُ، فَاللهُ نَاصِرُكَ وَمُؤَيِّدُكَ وَحَافِظُكَ؛ لِذَا ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلذِينَ يَعْتَمِدُونَ عَلَى غَيْرِهِ، وَلاَ يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ، وَإِنْ عَبَدُوهُ أَشْرَكُوا مَعَهُ فِي العِبَادَةِ إِلَهَةً أُخْرَى، وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ، فَهُمْ آنَذَاكَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ فِي ضَعْفِهَا: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت 41] فَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ ضَعِيفٌ، لاَ يَصُدُّ بَرْدًا وَلاَ يَمْنَعُ حَرًّا، فَالبَيْتُ أَضْعَفُ مِنَ العَنْكَبُوتِ نَفْسِهِ، وَكَذَا الكَافِرُ فَهُوَ ضَعِيفٌ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَاهُ يَعْتَمِدُ عَلَى مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُ؛ لِيَنْصُرَهُ! أَمَّا الصَّالِحُونَ فَوَلِيُّهُم اللهُ الَّذِي لاَ يَغْفُلُ وَلاَ يَنَامُ، قَالَ اللهُ: {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف 196] أَيْ: مُتَوَلِّي أُمُورِي وَمُدَبِّرُهَا؛ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ القُرْآنَ وَيَحْفَظُ الصَّالِحِينَ فِي حِلِّهِم وَتِرْحَالِهِم؛ لِذَلِكَ قَالَ اللهُ: {وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} [الجاثية 19] فَهَنِيئًا لَكَ أَيُّهَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ بِوَلاَيَةِ اللهِ لَكَ، فَهُوَ وَلِيُّكَ وَنَاصِرُكَ، أَمَّا غَيْرُهُ فَلاَ يَنْصُرُ وَلاَ يَنْفَعُ وَلاَ يَضُرُّ إِلا بِإِذْنِهِ، قَالَ اللهَ تَعَالَى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ} [الأعراف 191-192] فَادْعُ بِإِخْلاَصٍ؛ وَأَنْتَ مُوقِنٌ بِالإِجَابَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ[1]: لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مِنَ الدُّعَاءِ مَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ أَجَابَ دُعَاءَ شَرِّ الخَلْقِ إِبْلِيسَ إِذْ قَالَ: {رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} [ص 79-81]

اسْتِبْطَاءُ النَّصْرِ وَالإِجَابَة نَوْعٌ مِنَ الابْتِلاَءِ

وَاعْلَمْ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- أَنَّ اسْتِبْطَاءَ النَّصْرِ وَالإِجَابَةِ نَوْعٌ مِنَ الابْتِلاَءِ، فَلاَ تَسْتَعْجِلِ النَّصْرَ، فَعَنْ خَبَّابٍ قَالَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَوَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟! أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟! فَجَلَسَ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ فَقَالَ[2]: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ فِرْقَتَيْنِ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ

---

[1] () كما في فتح الباري 11/144.

[2] () (صحيح): أحمد 26675، البخارى 3612، أبو داود 2649.

دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ وَعَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ؛ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ؛ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَحَضْرَمُوتَ مَا يَخَافُ إِلا اللَّهَ -تَعَالَى- وَالذِّئْبُ عَلَى غَنَمِهِ؛ وَلَكِنَّكُمْ تَعْجَلُونَ».

يَا صَاحِبَ الابْتِلاءِ ..تَعَلَّمْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ

أَيُّهَا الحَبِيبُ.. اقْرَأْ القُرْآنَ يَرْضَ عَنْكَ الرَّحْمَنُ، وَيَبْتَعِدْ عَنْكَ الشَّيْطَانُ، وَتَهْتَدِ بِهَدْيِ الأَنْبِيَاءِ صَفْوَةِ الأَنَامِ،اقْرَأْ فَقِرَاءَةُ القُرْآنِ عُنْوَانُ الإِيمَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [البقرة 121] اقْرَأْ؛ لِتَتَعَلَّمَ كَيْفَ تَتَعَامَلُ مَعَ اللهِ رَبِّ الأَنَامِ بِأَدَبٍ؟ وَهُوَ الخَالِقُ العَظِيمُ، مُدَبِّرُ الأَمْرِ الَّذِي خَلَقَكَ فَهَّدَاكَ، وَالَّذِي يُحْيِيكَ لِلحِسَابِ.. وَانْظُرْ إِلَى الأَنْبِيَاءِ -وَهُمْ أَفْضَلُ مِنْكَ عِنْدَ اللهِ- كَيْفَ ابْتَلاهُمُ اللهُ؟! وَكَيْفَ كَانَ صَبْرُهُمْ وَإِيمَانُهُم عَلَيْهِم -جَمِيعًا- الصَّلاةُ وَالسَّلامُ؟

نَمَاذِجُ مِنْ صَبْرِ الأَنْبِيَاءِ (صَبْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ)

نَعَمْ.. لَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَسُولَ اللهِ بِالصَّبْرِ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ} [الأحقاف 35] وَنَهَاهُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ ذِي النُّونِ (يُونُس بن مَتَّى) عَلَيْهِ السَّلامُ؛ فَذُو النُّونِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى قَوْمِهِ وَذَهَبَ مُغَاضِبًا وَلَمْ يَأْذَنِ اللهُ لَهُ بِذَلِكَ وَظَنَّ أَنْ لَنْ يُضَيِّقَ اللهُ عَلَيْهِ فَقَالَ تَعَالَى: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} [القلم 48-50] لِذَا صَبَرَ النَّبِيُّ عَلَى أَذَاهُمْ لَهُ بِالفِعْلِ وَالقَوْلِ صَبْرًا عَظِيمًا؛ وَكَادَ النَّبِيُّ أَنْ يُهْلِكَ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ هَذَا الأَمْرِ وَالَّذِي بُعِثَ مِنْ أَجْلِهِ؛ لِهِدَايَةِ النَّاسِ إِلَى الإِسْلامِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف 6] وَكَانَ صَبْرُهُ بِرَحْمَةٍ لا بِغَضَبٍ وَنَكَدٍ؛ فَمَا أَجْمَلَ الصَّبْرَ تَصْحَبُهُ الرَّحْمَةُ! {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} [البلد 17-18] أَأَنْتَ أَفْضَلُ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُحَمَّدصلى الله عليه وسلم؟! فَقَدْ ابْتَلاهُ اللهُ بِقَوْمٍ أَخْرَجُوهُ مِنْ مَكَّةَ، أَعْظَمِ بَلَدٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِ اللهصلى الله عليه وسلم؛ إِنَّهَا أُمُّ القُرَى، كَمَا وَصَفَهَا اللهُ العَلِيمُ فِي قُرْآنِهِ الكَرِيمِ: {لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الشورى 7] وَأَحَبَّهَا رَسُولُ اللهصلى الله عليه وسلمحُبًّا جَمًّا، وَأَقْسَمَ عَلَى حُبِّهَا، فَقَالَصلى الله عليه وسلمعِنْدَمَا أُخْرِجَ مِنْهَا[1]: «وَاللهِ إِنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ الأَرْضِ

---

[1] () (صحيح): أحمد 18242، الترمذى 3925،صحيح الجامع 7089.

إِلَى اللَّهِ؛ وَلَوْلا أَنَّ أَهْلَكَ أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا خَرَجْتَ» قَالَ اللهُ فِي هَذَا الشَّأنِ: {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ} [محمد 13] فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةَ؛ حَتَّى يُهَدِّئَ مِنْ رَوْعِهِ: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص 85] فَاصْبِرْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَلِكُلِّ حَادِثَةٍ حَدِيثٌ وَوَقْتٌ مُقَدَّر.

وَإِنْ نَأَى بِكَ أَوْطَانٌ نَشَأْتَ بِهَا ... فَارْحَلْ فَكُلُّ بِلاَدِ اللهِ أَوْطَانُ
وَإِنْ جَفَاكَ أَخٌ قَدْ كُنْتَ تَأْلَفُهُ ... فَاطْلُبْ سِوَاهُ فَكَمْ فِي الأَرْضِ إِخْوَانُ

وَجَعَلَ اللهُ ثَوَابَ هَؤُلاءِ المُهَاجِرِينَ عَظِيمًا؛ لأَنَّ هَذَا الابْتِلاءَ كَانَ جَلَلاً، خَاصَّةً فِي بِدَايَةِ الدَّعْوَةِ، فَالرَّجُلُ العَرَبِيُّ مُرتَبِطٌ بِوَطَنِهِ مَهْمَا بَعُدَ؛ فَإِنَّهُ يَسْعَدُ كَثِيرًا بِالعَوْدَةِ إِلى مَوْطِنِهِ الأَوَّلِ؛ لِذَا كَانَ الأَجْرُ كَرِيمًا، فَهَلْ يُكَافَأُ عَلَى اتِّبَاعِهِ هَذَا الدِّينَ العَظِيمَ أَمْ يُعَاقَبُ بِالخُرُوجِ مِنْ وَطَنِهِ وَأَهْلِهِ؟! إِنَّهُمْ كُوْفِئُوا؛ وَلَكِنْ مِنْ مَوْلاهُم الَّذِي خَلَقَهُم فَهَدَاهُم، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ المُهَاجِرِينَ: {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِم وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِم وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} [آل عمران 195] إِذًا.. كَانَ ابْتِلاؤُهُمْ قَوِيًّا وَشَدِيدًا وَمُؤْلِمًا، أَنْ يَجِدَ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ فَجْأَةً -وَهُوَ المَحْبُوبُ فِي أَهْلِهِ وَبَلَدِهِ- بِلا أَهْلٍ وَمَالٍ وَوَلَدٍ وَبَلَدٍ، وَهُمُ الذِينَ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ الصَّادِقَ الأَمِينَ وَأَوْدَعُوا عِنْدَهُصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَأَغْلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنْ أَمَانَاتٍ، وَمَعَ ذَلِكَ طَارَدُوهُ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ، وَرَصَدُوا الجَوَائِزَ الثَّمِينَةَ لِذَلِكَ، أي: مَنْ يَظْفَرْ بِهِ يَقْتُلْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَاهُ يَقُولُصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَلِعَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ: إِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ فَرُدَّ الوَدَائِعَ إِلَى أَهْلِهَا، لِذَا؛ كَانَ الثَّوَابُ كَرِيمًا وعَظِيمًا مِنْ رَبِّهِم الكَرِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.. وَلَيْتَ الأَمْرَ وَقَفَ عِنْدَ ذَلِكَ وَكَفَى، وَهُوَ إِخْرَاجُ المَعْصُومِصلى الله عليه وسلممِنْ وَطِنِهِ وَأَهْلِهِ وَكَفَى بِهِ مُصِيبَةً، بَلْ أَسَالُوا دَمَهُ الشَّرِيفَ مِنَ الجِسْمِ المُكَرَّمِ، وَرَمَوْهُ بِأَعْظَمِ السِّبَابِ، وَهُوَ مِنْهَا بَرِئٌ بَرَاءَةَ الذِّئْبِ مِنْ دَمِ ابْنِ يَعْقُوبَ عليه السلام ، فَهُوَ صَاحِبُ الخُلُقِ العَظِيمِ، كَمَا وَصَفَهُ المَوْلَى الكَرِيْمُ، وَرَمَوا أُمَّنَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ لالطَّاهِرَةَ العَفِيفَةَ بِالفَاحِشَةِ، وَلَكِنَّهُ أَعْرَضَ عَنْهُم حَتَّى نَزَلَتْ بَرَاءَتُهَا مِنَ السَّمَاءِ فِي سُورَةِ النُّورِ.

أَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِ السَّفِيهِ ... فَكُلُّ مَا قَالَ فَهُوَ فِيهِ
فَمَا ضَرَّ بَحْرَ الفُرَاتِ يَوْمًا ... أَنْ خَاضَ بَعْضُ الكِلاَبِ فِيهِ

وَحَاصَرُوهُ حِصَارًا قَاتِلاً فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، لِدَرَجَةِ أَنَّهُ وَأَصْحَابَهُ رَبَطُوا عَلَى بُطُونِهِم حِجَارَةً وَأَحْزِمَةً مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ.

لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا جَزَاءً لِمُحْسِنٍ ... إِذًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعَاشٌ لِظَالِمِ

لَقَـدْ جَـاعَ فِيهَـا الأَنْبِيَـاءُ كَرَامَـــــــــــــــــةً وَشَـــبِعَتْ فِيهَـــا بُطُـــونُ الْبَهَـــــــــــــــــائِمِ

بَلْ وَصَلَ الأَمْرُ إِلَى التَّآمُرِ عَلَى قَتْلِهصلى الله عليه وسلم، وَرَصْدِ أَعْظَمِ الْجَوَائِزِ؛ لِذَلِكَ الأَمْرِ الْبَشِعِ عِنْدَمَا اجْتَمَعُوا اجْتِمَاعَهُمُ الْمَشْئُومَ فِي دَارِ النَّدْوَةِ، وَمَعَ كُلِّ هَذَا نَجِدُ الْمَوْلَى يُوْصِيهِ بِالصَّبْرِ، فَمَا أَعْظَمَ الصَّبْرَ! وَمَا أَكْرَمَ جَزَاءَ الصَّابِرِينَ! فَنَزَلَتْ آيَاتُ الصَّبْرِ الآيَةُ تِلْوَ الآيَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف 35] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور 48] أي: اصْبِرْ عَلَى قَضَاءِ اللهِ الَّذِي قَدَّرَهُ لَكَ وَقَضَى بِهِ عَلَيْكَ؛ فَاصْبِرْ مُمْتَثِلاً لِكُلِّ الأَقْضِيَةِ الْوَاقِعَةِ عَلَيْكَ، وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [يونس 109] فَالصَّبْرُ كُلُّ الصَّبْرِ كُلُّهُ فِي كِتَابِهِ؛ لاَ حُدُودَ لَهُ، فَاللهُ يُوَفِّي الصَّابِرِينَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ؛ فَادْعُ اللهُ أَنْ يُصَبِّرَكَ، وَكُنْ قَرِيبًا دَائِمًا مِنْهُ، فَإِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَأُرِيدُكَ أَنْ تَقُولَ دَائِمًا: الْحَمْدُ للهِ، فَأَنْتَ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِكَ، وَحَالُكَ أَحْسَنُ مِنْ أَحْوَالِ أُنَاسٍ آخَرِينَ، فَانْظُرْ إِلَيْهِمْ وَاعْتَبِرْ بِهِمْ، فَرُبَّمَا مَنْعُ هَذِهِ النِّعْمَةِ عَنْكَ فِيهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ لَكَ وَأَنْتَ لاَ تَشْعُرُ بِذَلِكَ، فَإِنْ تَكُ قَدْ سُلِبَتْ مِنْكَ نِعْمَةٌ؛ فَكَمْ مِنْ نِعَمٍ وَهَبَكَ اللهُ إِيَّاهَا لاَ تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى! فَلاَ تَزْدَرِي نِعْمَةَ رَبِّكَ عَلَيْكَ.. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم[1]: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ» فَلَنْ تَحْيَا سَعِيدًا إِلاَّ نَظَرْتَ لِمَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْكَ فِي أَمْرِ الدِّينِ؛ لِتَصِلَ إِلَيْهِ فَتَسْعَد، أَمَّا فِي أَمْرِ الدّنيَا فَانْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَدْنَى مِنْكَ لِتَحْمَدَ اللهَ عَلَى مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ..

فَكُنْ تَقِيًّا صَابِرًا مُحْتَسِبًا، وَاعْلَمْ أَنَّ الفَتْحَ فَتْحَانِ: فَتْحُ مُبَارَكٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} [الأعراف 96] وَفَتْحٌ آخَرُ عَلَى الْكَافِرِينَ وَهُوَ فَتْحٌ غَيْرُ مُبَارَكٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم[2] قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ؛ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ» ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى

---

[1] () (صحيح): البخارى 6490، مسلم 2963، أحمد 27364.

[2] () (حسن): أحمد 16860، صحيح الجامع 561.

إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}[الأنعام 44] فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ -هَدَانَا وهَدَاكَ اللهُ- مَنْ أَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَنْتَ!.

صَبْرُ نَبِيِّ اللَّهِ يَعْقُوبَ

وَهَا هُوَ سَيِّدُنَا يَعْقُوبُ عليه السلام يُبْتَلَى فِي ابْنِهِ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عليه السلام، إِخْوَتُهُ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ إِلا أَحَدَهُم كَانَ رَحِيمًا به، أَتَدْرِي مَاذَا قَالَ؟! قَالَ: لا تَقْتُلُوهُ، وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ! أَيْ: فِي قَاعِ الْبِئْرِ الْمُظْلِمِ! نَبِيٌّ كَرِيمٌ يُرْمَى فِي قَاعِ الْجُبِّ، ثُمَّ يُبَاعُ وَيُشْتَرَى بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ ثُمَّ فِتْنَةُ السِّجْنِ، وَهُوَ مَنْ؟ وَابْنُ مَنْ؟ هُوَ الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، كَمَا وَصَفَهُ النَّبِيُّ الأَمِينُ صلى الله عليه وسلم[1] فَهُوَ نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ ابْنِ نَبِيٍّ ابْنِ نَبِيٍّ، إِنَّهَا سِلْسِلَةٌ شَرِيفَةٌ كَرِيمَةٌ مُبَارَكَةٌ عَظِيمَةٌ، فَمَنْ تَكُونُ أَنْتَ بِالْقِيَاسِ عَلَيْهِ؟! وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ سَيِّدُنَا يَعْقُوبُ عليه السلام بَعْدَ هَذَا الابْتِلاءِ: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف 18] وَالصَّبْرُ الْجَمِيلُ هُوَ الصَّبْرُ الَّذِي يَصْبِرُ صَاحِبُهُ؛ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْجَلِيلِ، لا أَنْ يَصْبِرَ حَيَاءً مِنَ النَّاسِ! وَهُوَ صَبْرٌ لا شَكْوَى فِيهِ لِلْبَشَرِ؛ إِنَّمَا الشَّكْوَى إِلَى رَبِّ الْبَشَرِ فَقَالَ: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} [يوسف 86] وَقَالَ اللهُ فِي شَأْنِ الْمَرْأَةِ الْمُجَادِلَةِ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} [المجادلة 1] وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّكْوَى نَوْعَانِ: شَكْوَى مِنْ، وَهَذِهِ الشَّكْوَى تُنَافِي الصَّبْرَ، وَشَكْوَى إِلَى، وَتِلْكُمُ الشَّكْوَى لا تُنَافِي الصَّبْرَ، فَاشْكُ إِلَى اللهِ فَقْرَكَ وَحَاجَتَكَ وَضَعْفَكَ وَذِلَّتَكَ؛ فَلَنْ تَجِدَ أَرْحَمَ مِنْهُ يَسْمَعُكَ، فَبَعْدَ أَنْ وَكَلَ يَعْقُوبُ عليه السلام ابْنَهُ لإِخْوَتِهِ يَحْفَظُونَهُ وَلَمْ يَرْجُ اللهَ عَلَيْهِ، فَوَكَلَهُ اللهُ إِلَى خَوْفِهِ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ حُزْنًا عَلَيْهِ: {وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف 84] وَعِنْدَمَا قَالَ: {فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف 64] فَكَانَ هَذَا الْقَوْلُ فَارِقًا؛ فَأَعَادَ اللهُ وَلَدَهُ يُوسُفَ إِلَيْهِ أَفْضَلَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ، فَقَدْ خَرَجَ يُوسُفُ مِنْ عِنْدِهِ طِفْلاً صَغِيرًا، فَأَعَادَهُ اللهُ إِلَيْهِ نَبِيًّا كَرِيمًا وَمَلِكًا مُتَوَّجًا وَحَفِيظًا عَلِيمًا وَمَكِينًا أَمِينًا، وَحَقَّقَ اللهُ لَهُ رُؤْيَاهُ، وَأَسْعَدَ بِهِ أَبَاهُ، وَرَدَّ إِلَى أَبِيهِ بَصَرَهُ فَقَالَ: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف 56] وَلَقَدْ قِيلَ لِلإِمَامِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ/وَهُوَ يَئِنُّ مِنْ شِدَّةِ مَرَضِهِ:

---

[1] () (صحيح): أحمد 5679، البخارى 3390.

آهٍ ..آه يَا إِمَامُ إِنَّ الملَكَيْنِ يَكْتُبَانِ عَلَيْكَ الأَنِينَ، فَكَفَّ وَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ؛ فَلا تَيْأَسَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ أَبَدًا، حَتَّى لَوْ اشْتَدَّ عَلَيْكَ المَرَضُ، فَرَحْمَةُ اللهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَافَاهُ اللهُ! وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ مَاتَ بَغْتَةً! أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟!

فَكَمْ مِنْ فَتًى أَمْسَى وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ
وَأَصْبَحَ ضَاحِكًا لا يَدْرِي
وَكَمْ مِنْ صِغَارٍ يُرْتَجَى وَقَدْ أُدْخِلَتْ أَجْسَادُهُمْ
طُولُ عُمْرِهَا ظُلْمَةَ القَبْرِ
وَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا
غَيْرِ عِلَّةٍ مِنَ الدَّهْرِ
وَكَمْ مِنْ عَرُوسٍ زَيَّنُوهَا وَقَدْ قُبِضَتْ أَرْوَاحُهُم لَيْلَةَ
لِزَوْجِهَا القَدْرِ

فقُدْرَةُ اللهِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ فَوْقَ قُدْرَةِ الأَطِبَّاءِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]: «اللهُ الطَّبِيبُ» فَانْظُرْ مَنْ شَفَى هَذَا المَرِيضَ؟! وَكَانَ هَذَا المَرِيضُ أَقْرَبَ إِلَى المَوْتِ مِنْهُ إِلَى الحَيَاةِ! وَمَنْ أَمَاتَ هَذَا الصَّحِيحَ؟ وَكَانَ هَذَا الصَّحِيحُ أَقْرَبَ إِلَى الحَيَاةِ مِنْهُ إِلَى المَوْتِ! سَلْ نَفْسَكَ -أَخِي المِفْضَالَ- مَنْ أَمَاتَ هَذَا وَأَحْيَا ذَاكَ؟! إِنَّهُ اللهُ المُحْيِي المُمِيتُ..

[1] () (صحيح): صحيح الجامع 1252.

كَيْفَ تَتَعَزَّى عِنْدَ فَقْدِ الأَعِزَّاءِ؟!

يَا مَنْ فَقَدْتَ عَزِيزًا.. رَسُولُ الله يُبَشِّرُكَ

لَقَدْ خَصَّصْتُ لَكَ هَذَا البَابَ؛ لِتَتَعَزَّى، فَرَسُولُ الله يُبَشِّرُكَ يَا مَنْ فَقَدْتَ وَلَدَكَ أَوْ عَزِيزًا لَدَيْكَ فَصَبَرْتَ، وَاحْتَسَبْتَهُ عِنْدَ اللهِ فَأَبْشِرْ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى[1]: «مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَا الْجَنَّةُ» وَهَذَا حَدِيثٌ آخَرُ قُدْسِيٌّ مِنْ حَبِيبِ قَلْبِكَ رَوَاهُ لَنَا عَنْ رَبِّهِ العَلِيِّ[2]: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ» لِذَا يَقُولُ أَحَدُ الصَّالِحِينَ بَعْدَ وَفَاةِ وَلَدِهِ: لأَنْ يَأْتِيَ وَلَدِي فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، أَيْ: بِصَبْرِي عَلَى فِرَاقِهِ، خَيْرٌ لِي مِنْ تَمَتُّعِي بِهِ فِي الدُّنيَا، وَآخَرُ يَقُولُ: لأَنْ يَأْتِيَ وَلَدِي فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِي يَوْمَ القِيَامَةِ خَيْرٌ لِي مِنْ أَنْ آتِيَ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَإِلَيْكَ هَذَا الحَدِيثَ المؤَثِّرَ؛ لَعَلَّكَ يَا مَنْ فَقَدْتَ وَلَدَكَ تَحْتَسِبُهُ عِنْدَ اللهِ؛ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ[3]: «أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَتُحِبُّهُ؟ فَقَالَ: أَحَبَّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ! فَمَاتَ فَفَقَدَهُ فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا يَسُرُّكَ أَنْ لا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلا وَجَدْتَهُ عِنْدَهُ يَسْعَى؛ يَفْتَحُ لَكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: بَلْ لِكُلِّكُمْ»..

بَلاَغَةُ أَعْرَابِيٍّ

ولَمَّا مَاتَ العَبَّاسُ وَجَاءَ النَّاسُ؛ لِتَعْزِيَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ العَبَّاسِ، قَالَ أَعْرَابِيٌّ مُوَاسِيًا عَبْدَ اللهِ:

اصْبِرْ نَكُنْ بِكَ صَابِرِينَ فَإِنَّمَا ... صَبْرُ الرَّعِيَّةِ عِنْدَ صَبْرِ الرَّاسِ
خَيْرٌ مِنَ العَبَّاسِ صَبْرُكَ ... وَاللهُ خَيْرٌ مِنْكَ لِلعَبَّاسِ

---

1 () (صحيح): أحمد 9127، البخارى 6424.
2 () (صحيح): أحمد 19226، صحيح الجامع 795.
3 () (صحيح): أحمد 15168، النسائى 1870.

بَعْـــــــــــــــــــــــــدَهُ

فَقَـالَ ابـنُ العَبَّاسِـا: لَـمْ أَرَ أَحْسَـنَ مِنْـهُ عَـزَاءً قَـط؛ فَالمُصَـابُ مَـنْ حُـرِمَ الثَّـوَابَ مِـنْ رَبِّ الأَرْبَابِ، وَلَيْـسَ المُصَابُ مَنْ فَقَدَ الأَحْبَابَ! وَهَا هُوَ عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ[1] عِنْدَمَا فَقَدَ رِجْلَهُ فَقَالَ: الحَمْدُ للـهِ، قَـدْ أَخَـذَ وَاحِـدَةً وَأَبْقَـى بِبَقَـاءِ الأُخْرَى، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَمْشِ بِهَا إِلَى الحَرَامِ أَبَدًا، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ ابْنَكَ وَقَعَ مِنْ عَلَـى الجِـدَارِ فَوَقَصَـتْهُ النَّاقَـةُ فَمَـاتَ، فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ إِنْ كُنْتَ أَخَذْتَ ابْنًـا فَقَـدْ تَرَكْـتَ الآخَرِيـنَ؛ فَلَكَ الحَمْدُ للهِ عَلَى مَـا أَخَـذْتَ، وَلَـكَ الحَمْـدُ عَلَـى أَبْقَيْـتَ، هَكَذَا يَكُونُ الإِيمَانُ وَقْتَ المصِيبَةِ، فَاللهُ أَنْعَمَ عَلَيْـكَ طَـوَالَ عُمُرِكَ كُلِّهِ فِي ثَلاثِينَ أَوْ خَمْسِينَ سَنَةً ثُـمَّ ابْتَلاكَ بِمَـرَضٍ أَوْ فَقْدِ عَزِيزٍ؛ فَهَلْ تَجْزَعُ وَلاَ تَصْبِر؟!

اللهُ يُعَوِّضُكَ خَيْرًا مِنْ مُصِيبَتِكَ

بِصَبْرِكَ عَلَى المصِيبَةِ فَإِنَّ اللهَ يُعَوِّضُكَ خَيْرًا مِنْهَا؛ فَعَـنْ بْنِ أَبِي طَلْحَـةَ أَنَّـهُ سَـمِعَ أَنَـسَ بْنَ مَالِـكٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ يَقُولُ[2]: «اشْتَكَى ابْـنٌ لأَبِـي طَلْحَـةَ قَـالَ: فَمَـاتَ؛ وَأَبُـو طَلْحَةَ خَارِجٌ، فَلَمَّا رَأَتْ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّـأَتْ شَـيْئًا، وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَـةَ قَـالَ: كَيْـفَ الْغُلامُ؟ قَالَتْ: قَـدْ هَمَدَتْ نَفْسُـهُ، وَأَرْجُـو أَنْ يَكُـونَ قَـدْ اسْتَرَاحَ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ، قَالَ: فَبَـاتَ، فَلَمَّـا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّـهُ قَـدْ مَـاتَ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِـيِّ صـلى اللـه عليـه وسـلمثُمَّ أَخْبَـرَ النَّبِـيَّ صلى الله عليه وسلمبِمَا كَانَ مِنْهُمَـا، فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ صلى اللـه عليـه وسـلم: لَعَـلَّ اللَّـهَ أَنْ يُبَـارِكَ لَكُمَـا فِـي لَيْلَتِكُمَا، قَالَ سُفْيَانُ: فَقَـالَ رَجُـلٌ مِـنَ الأَنْصَـارِ فَرَأَيْـتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلادٍ؛ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ القُرْآنَ[3]».

---

1 () عروة بن الزبير، أبوه الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين، وكان إذا أصيب بمصيبة يصبر ويحتسب ويسترجع، ويتذكر نعم الله عليه؛ فَلُقِّبَ بالصابر المحتسب.

2 () (صحيح) البخاري 1301.

3 () الابن المذكور هو أبو عمير الذي كان النبي يمازحه ويقول له " يا أبا عمير ما فعل النغير.

بَشَائِرُ عَظِيمَةٌ لِلنِّسَاءِ الثَّكَالَى

وَلَقَدْ بَشَّرَ رَسُولُ اللهِ النِّسَاءَ الثَّكَالَى بَشَائِرَ عَظِيمَةً؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَتْ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]: «غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ، فَقَالَ: وَاثْنَتَيْنِ» وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ لَيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ؛ عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ[2]: «لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ قُلْتُ: حَدِّثْنِي، قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ؛ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ[3]».

احْتِسَابُ الوَلَدِ عِنْدَ اللهِ يُثَقِّلُ الميزَانَ

فَاحْتِسَابُ الوَلَدِ عِنْدَ اللهِ لَهُ جَزَاءٌ عَظِيمٌ وَيُثَقِّلُ الميزَانَ كَذِكْرِ اللهِ؛ عَنْ أَبِي سَلَّامٍ عَنْ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ[4]: «بَخٍ بَخٍ. خَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدَاهُ، وَقَالَ: بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْحِسَابِ».

وَالصَّبْرُ -لُغَةً- أَصْلُهُ: الحَبْسُ وَالمنْعُ، أَيْ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الجَزَعِ، وَحَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى، وَحَبْسُ الجَوَارِحِ عَنِ المعَاصِي مِنْ أَفْعَالٍ وَأَقْوَالٍ سَيِّئَةٍ، وَإِطْلَاقُهَا فِي الخَيْرَاتِ؛ ابْتِغَاءَ ثَوَابِ اللهِ وَمَرْضَاتِهِ..

---

1 () (صحيح) البخاري 102.

2 () (صحيح) أحمد 3544، النسائي 1874، صحيح الجامع 5779.

3 () الحِنْثُ: الإِثْمُ يُكْتَبُ عَلَى صَاحِبِهِ عِنْدَمَا يَبْلُغُ وَيَجْرِي عَلَيْهِ القَلَمُ.

4 () (صحيح) أحمد 15235، صحيح الجامع 2817.

لاَ تَيْأَسْ.. فَاللهُ يَأْجُرُكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

فَالصَّبْرُ جَوَادٌ لاَ يَكْبُو، وَجُنْدٌ لاَ يُهْزَمُ، وَحِصْنٌ لاَ يُهْدَمُ، وَالصَّبْرُ يَجْلِبُ لَكَ حُبَّ اللهِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران 146] فَلاَ تَحْزَنْ فَاللهُ يُحِبُّكَ، وَلاَ تَخَفْ فَاللهُ مَعَكَ قَالَ اللهُ: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} وَلاَ تَيْأَسْ فَاللهُ يَأْجُرُكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالَ اللهُ: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ}[الزمر 10] وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ؛ فَمَنْ صَبَرَ تَرَى وَجْهَهُ مُشْرِقًا بِالإِيمَانِ وَالحَمْدُ للهِ، وَمَنْ سَخِطَ فَتَرَى فِي وَجْهِهِ ظُلْمَةً كَئِيبَةً مِنْ غَضَبِ اللهِ عَلَيْهِ وَالعِيَاذُ بِاللهِ؛ فَإِنْ لَمْ تَصْبِرْ طَوْعًا سَتَصْبِرُ قَهْرًا وَكَرْهًا وَحِينَئِذٍ تَفْقِدُ ثَوَابَ اللهِ وَحُبَّهُ؛ فَلاَ تَحْرِمْ نَفْسَكَ الحُبَّ وَالمَعِيَّةَ وَالأَجْرَ العَظِيمَ.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلمقَالَ[1]: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ السِّقْطَ لَيَجُرُّ أُمَّهُ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِذَا احْتَسَبَتْهُ» قَوْلُهُ: سَرَرُهُ هُوَ مَا تَقْطَعُهُ الْقَابِلَةُ، وَهُوَ السُّرُّ بِالضَّمِّ أَيْضًا وَأَمَّا السُّرَّةُ فَهِيَ مَا يَبْقَى بَعْدَ الْقَطْعِ.

عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2]: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ؛ يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ؛ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ[3]».

بِشَارَةٌ لِمَنْ مَاتَ خَارِجَ البِلاَدِ

وَلَوْ مَاتَ عَزِيزٌ لَدَيْكَ خَارِجَ البِلاَدِ؛ فَأَبْشِرْ؛ فَلَهُ مِنَ الخَيْرِ الكَثِيرِ وَمِنَ الثَّوَابِ العَظِيمِ؛ وَلْنَأْخُذْ مِثَالاً حَدَثَ لأَحَدِ الصَّحَابَةِ؛ وَهُوَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ ضَمُرَةُ بْنُ جُنْدُب اوالَّذِي

---

1 () (صحيح) الترمذي 1663، صحيح الجامع 2799.

2 () (صحيح) أحمد 21585، صحيح الترغيب والترهيب 2008.

3 () أول دفعة: تمحى ذنوبه في أول صبة من دمه، تاج الوقار: تاج العزة والعظمة، ويزوج: يعطى بطريق الزوجية (اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، أي: نساء الجنة واحدتها: حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها.

فَازَ بِأَجْرٍ عَظِيمٍ، عِنْدَمَا خَرَجَ مُهَاجِرًا -وَهُوَ الرَّجُلُ المُسِنُّ حَيْثُ كَانَ عُمْرُهُ وَقْتَهَا يُنَاهِزُ الثَّمَانِينَ عَامًا- قَالَ لأَهْلِهِ: أَخْرِجُونِي مِنْ أَرْضِ المُشْرِكِينَ، وَاحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ النَّبِيِّصلى اللهعليه وسلمثُمَّ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَلْحَقَ بِالنَّبِيِّصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَفَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِ قُرْآنًا: {وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} [النساء 100] وَهَنِيئًا لَهُ بِشَارَةً أُخْرَى مِنْ رَسُولِ اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَحَيْثُ مَاتَ رَجُلٌ بِالمَدِينَةِ مِمَّنْ وُلِدَ بِهَا، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَثُمَّ قَالَ[1]: «يَا لَيْتَهُ مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ، قَالُوا: وَلِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالصلى الله عليه وسلم: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ أَثَرِهِ فِي الجَنَّةِ»؛ لِذَا فَقَدْ جَعَلَ اللهُ القَتْلَ عَدِيلَ الخُرُوجِ وَالهِجْرَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ} [النساء 66] بَلْ وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى الَّذِينَ هَاجَرُوا كَالَّذِينَ أُخْرِجُوا وَالَّذِينَ أُوذُوا فِي سَبِيلِهِ كَالمقَاتِلِينَ وَالشُّهَدَاءِ فَقَالَ: {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} [آل عمران 195] فَاللَّهُ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا وَصَبَرُوا عَلَى طَاعَةِ اللهِ فَقَالَ: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل 110]

[1] () (حسن): ابن ماجة 1614، صحيح سنن ابن ماجة 1832.

أَخِي الحَبِيبَ...اصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً

ارْضَ بِاللَّهِ رَبًّا يَرْضَ عَنْكَ عَبْدًا

بِدَايَةً -فِي هَذَا المبْحَثِ- عَلَيْكَ أَنْ تَرْضَى بِاللهِ رَبًّا؛ وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَلاَّ تَرُدَّ أَمْرَهُ، وَأَلاَّ تَقْتَرِفَ نَهْيَهُ، وَأَنْ تَصْبِرَ عَلَى قَدَرِهِ وَقَضَائِهِ النَّازِلَ بِكَ، فَلَيْسَ الأَمْرُ مُجَرَّدَ كَلاَمٍ؛ فَإِذَا تَضَجَّرْتَ مِنْ قَضَاءِ رَبِّكَ الَّذِي نَزَلَ بِكَ -حِينَئِذٍ- فَأَنْتَ لَمْ تَرْضَ بِاللهِ رَبًّا؛ حَتَّى يُذْعِنَ قَلْبُكَ لأَمْرِ رَبِّكَ؛ وَيَرْضَى وَلاَ يَسْخَطَ، إِنَّهُ الخُضُوعُ وَالاسْتِسْلاَمُ لأَمْرِ اللهِ، فَارْضَ بِاللهِ رَبًّا يَرْضَ عَنْكَ عَبْدًا؛ وَاسْتَعِنْ بِهِ فِي كُلِّ أُمُورِكَ، فَأَنْتَ لَيْسَ بِيَدِكَ شَيْءٌ؛ وَاللهُ بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ؛ فَاللهُ مُدَبِّرُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلاَ يَقَعُ فِي الكَوْنِ شَيْءٌ إِلاَّ بِأَمْرِهِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ} [المؤمنون 17] وَاعْلَمْ -أَخِي الكَرِيمَ- أَنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِ الإِنْسَانَ عَطَاءً عَظِيمًا وَلاَ خَيْرًا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَفَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ[1]: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» فَاصْبِرْ إِنَّ مَوْعِدَكَ الجَنَّةُ؛ وَادْعُ اللهَ أَنْ يُلْهِمَكَ الصَّبْرَالجَمِيلَ..

عَلَيْكَ بِثَلاَثَةٍ!

عَلَيْكَ بِثَلاَثَةِ أُمُورٍ وَهِيَ: الصَّبْرُ الجَمِيلُ هُوَ الصَّبْرُ الَّذِي لا شَكْوَى فِيهِ إِلاَّ لِلَّهِ، أَمَّا الهَجْرُ الجَمِيلُ هُوَ أَلاَّ تُعَاتِبَ مَنْ تَهْجُرُهُ، وَأَمَّا الصَّفْحُ الجَمِيلُ هُوَ أَلاَّ تُؤْذِيَ مَنْ آذَاكَ، أَيْ: تَصْفَحُ عَنْهُ وَلا تَمَسَّهُ بِسُوءٍ، فَمَنْ مِنَّا يَتَمَثَّلُ هَذَا الخُلُقَ الجَمِيلَ؟ فَهَذِهِ الآيَاتُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا آنِفًا، وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَإِلاَّ أَنَّهَا وَصَايَا بَالِغَاتٌ خَالِدَاتٌ مِنَ اللهِ إِلَيْكَ أَيُّهَا المُوَحِّدُ المُبْتَلَى، فَأَنْتَ مُخْتَصٌّ بِهَا أَيْضًا؛ وَكَانَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَلأَصْحَابِهِ[2]: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ».

---

1 () (صحيح): البخارى 1469، مسلم 1053، أبو داود 1644.

2 () (صحيح): البخارى 3792، مسلم 1845، الترمذى 2189.

يُبْتَلَىٰ الأَخْيَارُ؛ لِسَبَبَيْنِ.. فَمَا هُمَا؟!

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَبْتَلِيْكَ مِنْ أَجْلِ شَيْئَيْنِ لا ثَالِثَ لَهُمَا؛ إِمَّا لِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَمَحْوِهَا، وَإِمَّا لِزِيَادَةِ الحَسَنَاتِ، فَاكْثِرْ مِنَ الحَسَنَاتِ؛ فَإِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود 114] وَيَقُولُ حَبِيبُ قَلْبِكَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم: حَتَّى يَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ[1]: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» فَإِنْتَ وَاقِعٌ بَيْنَ صِفَتَيْنِ كَرِيْمَتَيْنِ (الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ)، فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ صَابِرًا عَلَى البَلْوَى، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ شَاكِرًا عَلَى النِّعْمَةِ، فَإِنْ أَعْطَاكَ اللهُ العَافِيَةَ فَاشْكُرْ، وَإِنْ أَعْطَاكَ المَرَضَ فَاصْبِرْ، فَكِلاهُمَا مِنْ مَوْلاكَ الَّذِي هُوَ أَرْحَمُ بِكَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَاللهُ تَعَالَى أَرْحَمُ مِنَ الوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: الدِّينُ نِصْفَانِ صَبْرٌ وَشُكْرٌ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ فِي آيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [إبراهيم 5] فَإِذَا أُصِبْتَ بِمُصِيبَةٍ فَاصْبِرْ، فَكُلُّ مُصِيبَةٍ وَلَوْ كَانَتْ يَسِيرَةً تَسْتَوْجِبُ مِنْكَ الاسْتِرْجَاعَ فَقُلْ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة 156] قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم[2]: «لا تُصِيبُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ، فَيَسْتَرْجِعَ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ».

---

1 () (صحيح): أحمد 18455، مسلم 2999، الدارمي 2777.

2 () (صحيح): أحمد 15909، أبو داود 3115،صحيح الجامع 5768.

إِيَّاكَ وَقَتْلَ النَّفْسِ .. أَيُّهَا المبْتَلَى

نَسْمَعُ كُلَّ حِينٍ أَنَّ فُلانًا أَغْرَقَ نَفْسَهُ، وَأَنَّ فُلانَةً أَحْرَقَتْ نَفْسَهَا، وَآخَرُ طَعَنَ نَفْسَهُ؛ حَتَّى مَات، فَمَاتَ هَؤُلاءِ، وَلَيْتَ الأَمْرَ وَقَفَ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ وَكَفَى؛ وإنما يَظَلُّونَ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَهُمْ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ -أَبَدَ الآبِدِينَ- خُلُودًا بِلاَ مَوْتٍ، فَالحُزْنُ المنْهِي عَنْهُ هُوَ الحُزْنُ المفْضِي إِلَى الهَلاَكِ، أَمَّا الحُزْنُ المعْتَدِلُ فَلَيْسَ مُحَرَّمًا.

لاَ تَقْتُلْ نَفْسَكَ!

وَالنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَأَخْبَرَنَا عَنْ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ؛ لِيَمُوتَ، فَمَثْوَاهُ جَهَنَّمُ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا». وَهَذَا حَدِيثٌ آخَرُ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ[2]: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا؛ فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» بَلْ وَصَلَ الأَمْرُ أَنَّ بَعْضَ فُقَهَاءِ المُسْلِمِينَ قَالُوا: إِنَّ هَذَا المُنْتَحِرَ الَّذِي قَتَلَ نَفْسَهُ لاَ يُغَسَّلُ وَلاَ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَلاَ يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ؛ لأَنَّهُ مَاتَ يَائِسًا قَانِطًا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ} [الحجر 56]

هَذَا أَمْرٌ جَلَلٌ؛ فَاحْذَرْهُ

إِذًا..الأَمْرُ جَلَلٌ وَخَطِيرٌ، وَأَذْكُرُ هُنَا أَنَّ هَذَا الأَمْرَ مُنْتَشِرٌ بِكَثْرَةٍ فِي غَيْرِ المسْلِمِينَ وَالحَمْدُ للهِ؛ فَفِي السَّوَيْد مَثَلاً -وَالسَّوَيْدِيُّ صَاحِبُ أَعْلَى دَخْلٍ فَرْدٍ فِي العَالَمِ- وَمَعَ ذَلِكَ فَهُمْ أَصْحَابُ أَعْلَى نِسْبَةِ انْتِحَارٍ؛ إِنَّهَا مُفَارَقَةٌ عَجِيبَةٌ؛ لأَنَّهُم اهْتَمُّوا بِتَغْذِيَةِ الجَسَدِ الفَانِي وَمَلَذَّاتِهِ وَشَهَوَاتِهِ عَلَى حِسَابِ الرُّوحِ، وَلَوْ اهْتَمّوا بِتَغْذِيَةِ الرُّوحِ التَّغْذِيَةَ اللاَزِمَةَ لَهَا لَحَدَثَ

---

[1] ()(صحيح): البخارى 5778، مسلم 109، أبو داود 3872.

[2] ()(صحيح): البخارى 3463، مسلم 113، أحمد 18323.

التَّوَازُنُ المطْلُوبُ؛ لاسْتِمْرَارِ الحَيَاةِ السّلِيمَةِ.. نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَخْتِمَ لَنَا بِحُسْنِ خِتَامٍ، وَأَنْ يَتَوَفَّانَا وَهُوَ رَاضٍ عَنَّا..

نِعْمَ العَبْدُ؛ إِنَّهُ أَوَّابٌ

اسْمَعْ إِلَى سَيِّدِنَا أَيُّوبَ عليه السلام الَّذِي مَرِضَ مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأنبياء 83] فَيَقُولُ اللهُ: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ} [الأنبياء 84] وَلَمْ يَقُلْ نَبِيُّ اللهِ أَيُّوبُ عليه السلام : (رَبِّ أَنِّي أَهْلَكَنِيَ الضُّرُّ) إِنَّهُ أَدَبُ الأَنْبِيَاءِ مَعَ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، أَمَّا قَوْلُ أَيُّوبَ عليه السلام : {وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} أَيْ: إِنْ كَانَتْ رَحْمَتُكَ فِي بَلائِي وَعَدَمِ شِفَائِي فَهَذَا أَمْرُكَ، وَإِنْ كَانَتْ رَحْمَتُكَ فِي شِفَائِي وَمَعَافَاتِي فَهَذَا أَمْرُكَ؛ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ بِرَحْمَتِكَ وَلَمْ يَقُلْ: زِدْ فِي بَلائِي أَوِ اشْفِنِي؛ فَاخْتَرْ لِي، فَاخْتِيَارُكَ رَحْمَةٌ مِنْكَ إِلَيَّ! وَهَذَا ثَنَاءٌ جَمِيلٌ مِنْ نَبِيِّ اللهِ أَيُّوبَ لِرَبِّهِ فَشَفَاهُ اللهُ؛ فَهَذَا جَزَاءُ الصَّابِرِينَ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص 44] فَجَعَلَ اللهُ شِفَاءَهُ فِي حِفْنَةِ مَاءٍ، فَقَالَ اللهُ: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} [ص 42] لَقَدْ شَفَى اللهُ أَيُّوبَ عليه السلام بِحِفْنَةِ مَاءٍ بَعْدَ هَذَا الصِّرَاعِ الشَّدِيدِ مَعَ المَرَضِ؛ حَيْثُ شَرِبَ -كَمَا أَمَرَهُ اللهُ- المَاءَ فَطَهَّرَ اللهُ مَا بِدَاخِلِهِ مِنَ الدَّاءِ، وَاغْتَسَلَ فَأَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ البَلاءِ، فَسِرْ عَلَى دَرْبِ الأَتْقِيَاءِ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَيَتَذَكَّرُ نَبِيَّ اللهِ مُوسَى عليه السلام وَيُثْنِي عَلَى صَبْرِهِ؛فَيَقُولُصلى الله عليه وسلم[1]: «رَحْمَةُ اللهِ عَلَى مُوسَى؛ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مُصِيبَةٍ تُصِيبُكَ تَكُونُ لَكَ لا عَلَيْكَ، قَالَ اللهُ: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة 51] فَأَنْتَ – بِصَبْرِكَ- وَقْتَ المُصِيبَةِ- تُحَوِّلُهَا إِلَى حَسَنَاتٍ لَكَ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَرَسُولُ اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَيَقُولُ[2]: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ».

إِذَا أَصَابَتْكَ نَكْبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا ... مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لا يُنْكَبُ

وَارْعَ الأَمَانَةَ وَالخِيَانَةَ فَاعْدِلْ ... وَلا تَظْلِمْ يَطِبْ لَكَ مَكْسَبُ

وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ وَنَصْحُ ... أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَالنَّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ

[1] () (صحيح): البخارى 6291، مسلم 1062، أحمد 3597.

[2] () (صحيح): أحمد 71، البخارى 5645، مالك 1752.

نَصِـــــــــــــــــــيْحَتِي وَيُـــــــــــــــــــــــوْهَبُ

أَيُّهَا المُبْتَلَى انْتَبِهْ..ولا تَتَمَنَّ المَوْتَ

مَا أَكْثَرَ الأَزمَاتِ هَذِهِ الأَيَّامَ!

أَحْيَانًا يَشْتَدُّ المَرَضُ بِأَحَدِنَا أَوْ أَزْمَةٌ مِنَ الأَزْمَاتِ، وَمَا أَكْثَرَ الأَزْمَاتِ هَذِهِ الأَيَّامَ! مِمَّا يَجْعَلُ الإِنْسَانَ يَتَمَنَّى المَوْتَ، فَلا تَسْتَسْلِمْ -أَخِي الحَبِيبَ- حَتَّى لا تَقَعَ فَرِيسَةً لِلشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ، وَاتْرُكْ أَمْرَكَ كُلَّهُ للهِ.

سَهِرَتْ عُيُونٌ وَنَامَتْ عُيُونٌ ... فِي أُمُورٍ تَكُونُ أَوْ لا تَكُونُ
فَاذْرِ الهَمَّ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ النَّفْسِ فَحُمْلانُكَ الهُمُومَ جُنُونُ
إِنَّ رَبًّا كَفَاكَ بِالأَمْسِ مَا كَانَ ... سَيَكْفِيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ

وَقَدْ نَهَانَا رَبُّنَا -أَيُّهَا المُبْتَلَى- عَنْ قَتْلِ أَنْفُسِنَا فَقَالَ: {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء 29] فَاللهُ هُوَ وَاهِبُ الحَيَاةِ وَهُوَ يَسْلُبُ الحَيَاةَ؛ فَهُوَ المُحْيِي المُمِيتُ، وَهُوَ أَوَّلُ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ الإِنْسَانِ؛ فَلا يُبَاحُ لأَحَدٍ أَنْ يَنْتَهِكَ هَذَا الحَقَّ أَوْ يَسْتَبِيحَ حِمَاهُ، أَمَّا أَنْ يُصَابَ المَرْءُ أَوَّلَ إِصَابَةٍ فَيُصِيبُهُ اليَأْسُ، وَيَتَمَنَّى المَوْتَ، وَيَقُولُ بِملْءِ فِيهِ: يَارَبِّ..ارْحَنِي، فَهَذَا القَوْلُ عَلامَةٌ مِنْ عَلامَاتِ السَّاعَةِ فَاحْذَرْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم[1]: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ؛ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ البَلاءِ» بَلْ إِنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَنَهَانَا عَنْ أَنْ يَتَمَنَّى أَحَدُنَا المَوْتَ؛ فَعَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ قَالَ[2]: «أَتَيْتُ خَبَّابًا وَقَدْ اكْتَوَى سَبْعًا قَالَ: لَوْلا أَنَّ رَسُولَ اللهِ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ» وَفِي حَدِيثٍ خَطِيرٍ مِنَ البَشِيرِ النَّذِيرِ قَالَ[3]: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لابُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي[4]، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ

---

1 () (صحيح): البخارى 7115، مسلم 157، أبو داود 4255.
2 () (صحيح): البخارى 6349، مسلم 2681، أحمد 20555.
3 () (صحيح): البخارى 5671، مسلم 2680، أبو داود 3108.
4 () الضر: من مرض أو فاقة أو محنة، عبر في الحياة بقوله (ما كانت) لأنها حاصلة، ولما كانت الوفاة غير حاصلة الآن حسُنَ

الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي» حِينَئِذٍ يَخْتَارُ اللهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ،إِمَّا الحَيَاةَ وَإِمَّا الوَفَاة، نَعَمْ.. يَخْتَارُ لَكَ مَا يَعْفُكَ وَيُصْلِحُ شَأْنَكَ؛ أَمَّا أَنْ يَأْمُرَكَ الشَّيْطَانُ بِقَتْلِ نَفْسِكَ فَتَأْتَمِر وَتَفْعَل، وَأَمَرَكَ رَبُّكَ أَلاَّ تَفْعَلْ فَتَفْعَل؛ إِنَّهَا لَمُصِيبَةٌ..

الحَيَاةُ كُلُّهَا أَقْدَارٌ

اعْلَمْ أَنَّ الحَيَاةَ كُلَّهَا أَقْدَارٌ؛ فَإِيمَانُ المسْلِمِ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ الإِيمَانِ.

عَنْ ذِي اللِّحْيَةِ الْكِلابِيِّ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَعْمَلُ فِي أَمْرٍ مُسْتَأْنَفٍ أَوْ أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟! قَالَ[1]:«لا.. بَلْ فِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، قَالَ: فَفِيمَ نَعْمَلُ إِذًا! قَالَ: اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» فَمَا أَبْلَغَ إِجَابَةَ النَّبِيِّ! وَمَا أَعْظَمَهَا! إِنَّهُمَا كَلِمَاتٌ مَعْدُودَةٌ لاَ تَتَعَدَّى أَصَابِعَ اليَدِ الوَاحِدَةِ: فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ..إِجَابَةٌ دَقِيقَةٌ وَبَلِيغَةٌ أَصَابَ بِهَا رَسُولُ اللهِ، فَعِنْدَمَا قَرَأْتُ الحَدِيثَ تَشَوَّقْتُ لِنِهَايَتِهِ فَكَانَتْ مِسْكَ الخِتَامِ وَالقَوْل؛ إِنَّهُ قَوْلٌ لاَ يَقُولُهُ إِلاَّ نَبِيٌّ، أَيْ: أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ بِأَقْدَارِكُم المَكْتُوبَةِ لَكُم عِنْدَ رَبِّكُم، لاَ تَحِيدُونَ عَنْهَا، وَلَيْسَ فِي أَعْمَالٍ غَيْرِ مَكْتُوبَةٍ لَكُم،فَكُلُّ شَخْصٍ مِنَّا مَخْلُوقٌ وَمَخْلُوقٌ مَعَهُ عَمَلُهُ، فَقَدَرُكَ مَكْتُوبٌ قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات 96]ـ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ[2]:«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا نَتَّكِلُ؟! قَالَ: لا؛ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل 5-10]» وَمَعْنَى سَنُيَسِّرُهُ: نُهَيِّئُهُ، وَمَعْنَى كُلٌّ مُيَسَّرٌ: إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ وَيُيَسَّرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ وَيُيَسَّرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ.

أن يأتي بصيغة الشرط.

[1] () (صحيح) أحمد 16194، صحيح الجامع 1074.

[2] () (صحيح) البخاري 4947، مسلم 2647.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ[3]: «وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا، قَالَ: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟! أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟! فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ».

إِذَا وَقَعَتِ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ بَعَثَ اللهُ مَلَكًا فَقَالَ: يَا رَبِّ مُخَلَّقَةٌ أَوْ غَيْرُ مُخَلَّقَةٍ؟ فَإِنْ قَالَ غَيْرُ مُخَلَّقَةٍ أَيْ: لِلاسْتِمْتَاعِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فِي الحَلَالِ الطَّيِّبِ مَجَّهَا الرَّحِمُ, وَإِنْ قَالَ مُخَلَّقَةٌ قَالَ: يَا رَبِّ فَمَا صِفَةُ هَذِهِ النُّطْفَةِ؟ وَهَكَذَا فِي بَاقِي الحَدِيثِ؛ فَكُلُّ شَيْءٍ مَكْتُوبٌ قَبْلَ مَوْلِدِكَ.

وَأَنْتَ مُبْتَلًى فِي الشَّرِّ وَالخَيْرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء 35] فَالابْتِلاءُ بِالنَّعِيمِ رُبَمَا يُطْغِي الإِنْسَانَ، فَيَكُونُ هَذَا الخَيْرُ شَرًّا، وَالابْتِلاءُ بِالشَّرِّ رُبَمَا يَكُونُ سَبَبًا فِي عَوْدَتِهِ إِلَى رَبِّهِ وَالتِزَامِ الطَّرِيقِ مِنْ جَدِيدٍ، فَيَكُونُ هَذَا الشَّرُّ خَيْرًا، فَأَنْتَ لاَ تَعْلَمُ وَاللهُ يَعْلَمُ! وَلاَ بُدَّ مِنَ الإِيمَانِ القَاطِعِ بِذَلِكَ؛ فَعَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ[2]: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ؛ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَئِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَكَ مِنَ الرَّاضِينَ بِقَضَائِهِ كَمَا عَلَّمَ النَّبِيُّ زَيْدًا..

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهُ دُعَاءً وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَعَاهَدَ بِهِ أَهْلَهُ كُلَّ يَوْمٍ قَالَ[3]: «قُلْ كُلَّ يَوْمٍ حِينَ تُصْبِحُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ

---

3 () (صحيح) البخاري 6595، مسلم 2646.

2 () (صحيح): أحمد 21079، أبو داود 4699، صحيح الجامع 5244.

3 () (صحيح): أحمد 21158، صحيح الجامع 427.

وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَمِنْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ، اللَّهُمَّ مَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ نَذَرْتُ مِنْ نَذْرٍ أَوْ حَلَفْتُ مِنْ حَلِفٍ فَمَشِيئَتُكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، مَا شِئْتَ كَانَ وَمَا لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ وَمَا صَلَّيْتُ مِنْ صَلاةٍ فَعَلَى مَنْ صَلَّيْتَ، وَمَا لَعَنْتُ مِنْ لَعْنَةٍ فَعَلَى مَنْ لَعَنْتَ، إِنَّكَ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَلَذَّةَ نَظَرٍ إِلَى وَجْهِكَ وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ؛ أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَعْتَدِيَ أَوْ يُعْتَدَى عَلَيَّ أَوْ أَكْتَسِبَ خَطِيئَةً مُحْبِطَةً أَوْ ذَنْبًا لا يُغْفَرُ، اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ فَإِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَشْهِدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيدًا أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ؛ لا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْمُلْكُ، وَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ، وَلِقَاءَكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا؛ وَأَنْتَ تَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ..»

وَاعْلَمْ أَنَّ أَقْدَارَ اللهِ كُلَّهَا خَيْرٌ، وَلَكِنْ نَحْنُ بِفَهْمِنَا القَاصِرِ نَرَاهَا شَرًّا؛ وَرُبَّمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتَهُ -أَنْتَ- شَرًّا هُوَ خَيْرٌ عَظِيمٌ لَكَ؛ لِذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران 26] فَقَدْ نَرَى الْخَيْرَ فِي أَمْرٍ وَكُلُّهُ شَرٌّ وَالعَكْسُ، فَانْظُرْ إِلَى أَفْعَالِ اللهِ بِالعِبَادِ (تُؤْتِي وَتَنْزِعُ وَتُعِزُّ وَتُذِلُّ) كُلُّهَا خَيْرٌ، لِذَا خُتِمَتِ الآيَةُ بِقَوْلِ اللهِ: بِيَدِكَ الْخَيْرُ، فَاللهُ لا يُقْدِرُ إِلَّا الْخَيْرَ لِعِبَادِهِ مُطْلَقًا، فَاللهُ مِنْ أَسْمَائِهِ اللَّطِيفِ؛ فَهُوَ لَطِيفٌ فِي أَقْدَارِهِ[1]، انْظُرْ إِلَى نَبِيِّ اللهِ يُوسُفَ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ ابْتِلاءٍ إِلَى آخَرَ وَمَعَ ذَلِكَ تَرَاهُ يَقُولُ: {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف 100]

---

[1] () راجع باب (كيف يواجه المؤمن الابتلاء) ستجد فيه إفادة؛ تريح قلبك.

الشَّرُّ لاَ يُنْسَبُ للَّهِ

فَالشَّرُّ لاَ يُنْسَبُ للهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ [1]: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ [2]، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» لِذَا قَالَتِ الْجِنُّ كَمَا قَالَ رَبُّنَا فِي سُورَةِ الْجِنِّ: {وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن 10] فَلَمْ يَقُولُوا: أَشَرٌّ أَرَادَ اللهُ؛ فَتَدَبُّرُه -يَرْحَمُكَ اللهُ- فَإِنَّهُ دَقِيقٌ، وَهَا هُوَ أَبُو الأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمُ يَنْسُبُ الْمَرَضَ لِنَفْسِهِ لاَ لِرَبِّهِ تَأَدُّبًا فَقَالَ: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} [الشعراء 80] وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عِنْدَمَا نَسَبَ الْعَيْبَ لِنَفْسِهِ لاَ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَأَدُّبًا مَعَ رَبِّهِ الْكَرِيمِ رَغْمَ أَنَّهُ مَأْمُورٌ مِنَ اللهِ بِذَلِكَ: {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف 79] وَنَسَبَ الْخَضِرُ الْخَيْرَ وَالْفَضْلَ للهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} [الكهف 82] ثُمَّ تَجِدُهُ فِي الأَمْرَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُمَا أَمْرَا اللهِ لَهُ: {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف 82] فَعَلَيْنَا أَنْ نَخْتَارَ وَنَنْتَقِيَ أَلْفَاظَنَا ابْتِقَاءً مَعَ رَبِّنَا؛ كُنْتُ أُسِيرُ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي أَحَدِ شَوَارِعِ مَدِينَتِي بِلْقَاسِ - دَقَهْلِيَّةٌ .. فَرَأَيْتُ امْرَأَةً؛ تَخْلَعُ غِطَاءَهَا عَنْ رَأْسِهَا وَتَقُولُ: رَبُّنَا يَظْلِمُهُ كَمَا ظَلَمَنِي [3]، فَهَزَّنِي هَذَا الْقَوْلُ مِنْ جُذُورِي، طَبْعًا هِيَ تَقْصُدُ أَنْ يَنْتَقِمَ اللهُ مِنْهُ جَزَاءَ فِعْلِهِ مَعَهَا، فَهَلْ هَذِهِ الأَلْفَاظُ تَلِيقُ بِرَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؟! لَوْ قِيلَ لَكَ: إِنَّكَ سَتُقَابِلُ رَئِيسًا لأَصَابَتْكَ الْحَيْرَةُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! وَأَخَذْتَ وَقْتًا لَيْسَ بِالْيَسِيرِ فِي إِعْدَادِ أَلْفَاظِكَ.. مَاذَا سَتَقُولُ لَهُ؟! وَمَاذَا سَيَكُونُ رَدُّ فِعْلِهِ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَوْ تِلْكَ فَمَا بَالُكَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟!

---

1 () (صحيح): مسلم 771 أبو داود 760.

2 () معنى ذلك: أن أفعال الله كلها خير محض من حيث اتصافه بِهَا؛ وصدورها عنه ليس فيها شر قط؛ فإنه تعالى حكيم عدل، وجميع أفعاله متصفة بالحكمة والعدل؛ يضع الأشياء في مواضعها اللائقة، فالله لا يظلم الناس شيئا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

3 () كان أحرى بهذه المرأة أن تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، أو فوضت فيه الأمر لله، فربك ليس بظلام للعبيد؛ فالله لا يظلم الناس شيئا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمُورَ كُلَّهَا مُقَدَّرَةٌ بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَى خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا.. فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَتَأَدَّبَ بِأَدَبِ الأَنْبِيَاءِ مَعَ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة 216] فَلَيْسَ الإِعْطَاءُ دَلِيلَ الإِكْرَامِ، وَلَيْسَ المَنْعُ دَلِيلَ الإِهَانَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ} [الفجر 15-17] فَأَنْتُمْ وَهَبَكُمُ اللهُ مِنْ خَيْرِهِ الكَثِيرَ وَمَعَ ذَلِكَ بَخِلْتُمْ بِدَلِيلِ (كَلَّا) فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ بَعْدَ ذِكْرِ الإِعْطَاءِ وَالبُخْلِ! فَلاَ تَقُلْ: إِنَّ اللهَ وَهَبَنِي المَالَ وَالوَلَدَ؛ لأَنَّهُ يُحِبُّنِي فَهَذَا قَوْلُ الكَافِرِينَ: {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} [الكهف 34] وَيظَنُّ أَنَّهُمَا يُقَرِّبَانِهِ إِلَى اللهِ زُلْفَى: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [سبأ 37] فَلَنْ يُقَرِّبُكَ إِلَى اللهِ إِلاَّ عَمَلُكَ الصَّالِحُ.

اللَّهُ -وَحْدَهُ- يَعْلَمُ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ

فَاللهُ -وَحْدَهُ- يَعْلَمُ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ.. فاسْتَعِنْ -دَائِمًا- بِاللهِ وَلاَ تَعْجَزْ وَكُنْ مِنَ الصَّابِرِينَ، قَالَ اللهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة 153] لِمَنْ هَذَا النِّدَاءُ وَالأَمْرُ بِاللهِ عَلَيْكَ؟! لَكَ -أَيُّهَا المؤْمِنُ الصَّابِرُ- وَتَأَمَّلْ قَوْلَ اللهِ بَعْدَهُمَا: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} لِتَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ.. وَيَكْفِيكَ -أَيُّهَا المُبْتَلَى- أَنَّكَ حَبِيبُ مَوْلاَكَ رَبِّ العَالَمِينَ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم[1]: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» وَلَمْ يَقُلْ: فَمَنْ صَبَرَ؛ وَإِنَّمَا: فَمَنْ رَضِيَ؛ لأَنَّهُ مَنْ رَضِيَ فَقَدْ حَسُنَ صَبْرُهُ قَبْلَهُ، فَهُوَ رَاضٍ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَأُبَشِّرُكَ بِآيَاتٍ كَرِيمَةٍ اخْتَرْتُهَا لَكَ؛ حَتَّى يَنْشَرِحَ صَدْرُكَ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ البِشَارَةِ العَظِيمَةِ لَكَ.

فَالدَّاخِلُونَ إِلَى الجَنَّةِ وَأَعْلَى المَرَاتِبِ فِيهَا (الغُرْفَة) مِنَ الصَّابِرِينَ -اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ هَؤُلاَءِ- قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت 35] وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} [الفرقان 75] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: {سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ} [الرعد 24] وَأَقْرَأُ -مَا شِئْتَ-

---

[1] () (صحيح): أبو داود 4456، صحيح الجامع 2110.

قَوْلَ رَبِّكَ: {وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} [الإنسان 12] وَمَا أَجْمَلَ هَذِهِ الآيَةَ فِي ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! {إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ} [المؤمنون 111] فَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ فِي الآخِرَةِ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ صَبْرًا، قَالَ اللهُ: {وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ} [البقرة 155]

بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِلمُبْتَلَيْنِ وَخَاصَّةً المَرْضَى

وَقَبْلَ الدُّخُولِ إِلَى هَذَا المبْحَثِ أُعْلِمُكَ بِأَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً لِيَسْتَأْنِسَ قَلْبُكَ بِهِ وَيَطْمَئِنَّ؛ فَمَهْمَا بَلَغَ بِكَ عِظَمُ مُصِيبَتِكَ فَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ[1]: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟! قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أَدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟! فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ؛ وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ فَأَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً، قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» انْظُرْ بِقَلْبِكَ ثَانِيَةً فِي الحَدِيثِ المذْكُورِ؛ لِتَعْلَمَ هَذَا الجَزَاءَ الحَسَنَ؛ لِذَا عِشْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ؛ وَرُوحُكَ تَهْفُو إِلَى الجَنَّةِ دَائِمًا؛ قَالَ النَّبِيُّ[2]: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» قَالَ ابْنُ حَجَرٍ[3]: (أَوْ) فِي الحَدِيثِ المذْكُورِ بِمَعْنَى: بَلْ، أَيْ: عَابِرِ سَبِيلٍ، نَعَمْ...فَرُبَّمَا يُمَكَّنُ لِلغَرِيبِ فِي غُرْبَتِهِ، أَمَّا عَابِرُ السَّبِيلِ فَلا يُمَكَّنُ لَهُ، فَهُوَ يَمُرُّ عَلَيْكَ؛ إِمَّا أَنْ يُؤْذِيَكَ بِالسَّبَابِ وَاللَّعَانِ، وَإِمَّا أَنْ يُحَيِّيَكَ بِتَحِيَّةِ الإِسْلامِ، وَأَنْتَ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا؛ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُحْسِنًا؛ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مُسِيئًا، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- وَقَدِّمْ لِنَفْسِكَ الخَيْرَ فِي شَبَابِكَ؛ حَتَّى تُؤْجَرَ فِي شَيْبَتِكَ وَهَرَمِكَ، وَأَسُوقُ إِلَيْكَ بِشَارَةً؛ وَهَذِهِ البِشَارَةُ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكَ؛ حَتَّى أَطْمَئِنَكَ -أَيُّهَا المُوَحِّدُ- أَنَّهُ قَالَ: {إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين 6] وَمَعْنَى الآيَةِ: {فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} أَيْ: غَيْرَ مَقْطُوعٍ، فَالمؤْمِنُ لا يَهْرَمُ أَبَدًا؛ فَثَوَابُهُ مُتَجَدِّدٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4]: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا» فَلَوْ كُنْتُ ثَرِيًّا وَكُنْتُ تُنْفِقُ مَالَكَ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أَصَابَكَ فَقْرٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ

1 () (صحيح): مسلم 189، الترمذى 3198.

2 () (صحيح): أحمد 4750، البخاري 6416، الترمذى 2333.

3 () الفتح: 11/238.

4 () (صحيح): البخاري 2996، أبو داود 3091.

أَيُّ أَزْمَةٍ لِسَبَبٍ أَوْ لآخَرَ، وَتَتُوقُ نَفْسَكَ لِلإِنْفَاقِ، وَلا تَجِدُ مَا تُنْفِقُهُ فَأَبْشِرْ، فَإِنَّ اللهَ يُعْطِيكَ نَفْسَ الثَّوَابِ وَنَفْسَ الأَجْرِ بِنَفْسِ نِيَّتِكَ، مِثْلَمَا كُنْتَ تُنْفِقُ وَأَنْتَ ثَرِيٌّ، أَلَمْ تَقْرَأْ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ أَيْضًا[1]: «إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلا وَادِيًا إِلاَّ وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ» إِنَّهُمْ يُؤْجَرُونَ بِنِيَّاتِهِم وَلَهُمْ أُجُورٌ مِثْلُ أُجُورِ الَّذِينَ غَزَوْا مَعَ رَسُولِ اللهِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ عَنِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ[2]: «وَيْحَكَ! إِنَّ شَأْنَهَا شَدِيدٌ؛ فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا؟! قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتْرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا» وَمَعْنَى الحَدِيثِ: إِنَّ القِيَامَ بِحَقِّ الْهِجْرَةِ شَدِيدٌ، وَالنَّبِيُّ رَأَى حَالَ الرَّجُلِ لاَ تَحْتَمِلُ الْهِجْرَةَ وَالمَشَقَّةَ وَتَرْكَ الأَهْلِ، وَلَكِن اعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ تُؤَدِّي حَقَّ اللهِ وَمَا فَرَضَهُ عَلَيْكَ فِي نَفْسِكَ وَمَالِكَ فَلاَ تُبَالِ أَنْ تُقِيمَ فِي بَيْتِكَ، أَوَ كُنْتَ فِي أَبْعَدِ مَكَانٍ؛ أَوْ كُنْتَ صَحِيحًا أَوْ مَرِيضًا؛ فَلَنْ يُنْقِصَكَ حَقَّكَ وَأَجْرَكَ فِيمَا عَمِلْتَ، فَاغْتَنِمْ شَبَابَكَ حَتَّى تُؤْجَرَ فِي هَرَمِكَ، فَالمؤْمِنُ لاَ يَهْرَمُ أَبَدًا؛ فَتَوَابُهُ مُتَجَدِّدٌ، فَمَا بَالُكَ لَوْ كَانَ أَحَدُنَا ضَائِعًا -فِي شَبَابِهِ- فَاسِدًا؟! فَهَلْ سَتُؤْجَرُ أَمْ سَتَكُونُ مِنَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَوْزَارًا مَعَ أَوْزَارِهِم؟! فَانْتَبِهْ جَيِّدًا قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَبَابِكَ؛ وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ صِحَّتِكَ؛ بَلْ يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ حَيَاتِكَ كُلِّهَا، فَالمَوْتُ قَادِمٌ وَلَنْ تُفْلِتَ مِنْهُ؛ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرُ المَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، هَذَا هُوَ حَالُ المؤْمِنِ فِي الدّنيَا، فَأَنْتَ مُنْذُ وِلاَدَتِكَ وَأَنْتَ عَابِرُ سَبِيلٍ؛ فِي لَحْظَةٍ مُعَيَّنَةٍ سَتَصِلُ إِلَى اللهِ، وَرُبَّمَا تَصِلُ -الآنَ- فَجْأَةً دُونَ أَنْ يَأْتِيَكَ نَذِيرٌ، أَيْ: يَأْتِيكَ المَوْتُ بَغْتَةً, فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْنَعَهُ؟! فَمَا أَكْثَرَ مَوْتَ الفُجَاءَةِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ!.

---

[1] () (صحيح): البخاري 4423، ابن ماجة 2764.

[2] () (صحيح): البخاري 1452، مسلم 1865.

أَيُّهَا المُبْتَلَى: إِيَّاكَ وَالتَّفْرِيطَ فِي الصلاة

أَنْصَحُكَ -أَيُّهَا المُبْتَلَى- وَأَنْصَحُ نَفْسِي بِعَدَمِ التَّفْرِيطِ فِي الصَّلاةِ مَهْمَا كَانَ الأَمْرُ، فَأَثْنَاءَ زِيَارَتِي لأَحَدِ المَرْضَى الأَقَارِبِ سَأَلْتُ أَخَاهُ: هَلْ يُصَلِّي؟ فَقَالَ بِصَرَاحَةٍ: لا، فَسَأَلْتُ عَنِ السَّبَبِ، فَقَالَ: لأَنَّ حَالَتَهُ النَّفْسِيَّةَ سَيِّئَةٌ لِلْغَايَةِ، فَقُلْتُ لأَخِيهِ: أَلا تَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ مَاتَ الآنَ يَمُوتُ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ؟! أَلا يَعْلَمُ هَذَا الرَّجُلُ أَنَّ الصَّلاةَ تُفَرِّجُ عَنْهُ مَا هُوَ فِيهِ؟! فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلاةِ، بَلْ كَانَ يَقُولُ لِبِلالٍ[1]: «يَا بِلالُ أَقِمِ الصَّلاةَ أَرِحْنَا بِهَا» فَالصَّلاةُ عِمَادُ الدِّينِ، وَلَنْ يَقُومَ دِينٌ بِلا عِمَادٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! بَلَى..فَمَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ، وَمَنْ هَدَمَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ، وَعَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ؛ فَإِنَّ اللهَ رَبَطَ بَيْنَ القُرْآنِ وَالصَّلاةِ، فَقَالَ: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ} [العنكبوت 45] فَاقْرَأِ القُرْآنَ وَلا تَغْفُلْ عَنْهُ، وَصَلِّ؛ فَالصَّلاةُ صِلَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّ الأَنَامِ، وَلِلأَسَفِ مَا أَكْثَرَ تَارِكِي الصَّلاةِ اليَوْمَ مِنَ المَرْضَى!وَعَلَيْنَا أَنْ نُذَكِّرَ هَذَا المَرِيضَ بِخَطَئِهِ العَظِيمِ، فَالصَّلاةُ عَمُودُ الإِسْلامِ، فَالرَّجُلُ المُصَلِّي الصَّابِرُ فِي مَعِيَّةِ اللهِ-كَمَا أَسْلَفْنَا القَوْلَ- قَالَ اللهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة 153] وَوَاجِبُنَا نَحْوَهُ وُجُوبُ مُنَاصَحَتِهِ وَدَعْوَتُهُ الدَّائِمَةُ إِلَى الحَقِّ، فَإِنْ أَصَرَّ عَلَى تَرْكِهَا فَيَجِبُ تَرْكُهُ وَهَجْرُهُ وَعَدَمُ إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ؛ حَتَّى يَتُوبَ إِلَى مَوْلاهُ؛ فَيَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ.

وَأُبَشِّرُكَ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم[2]: «مَا يُصِيبُ المُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلا نَصَبٍ وَلا سَقَمٍ وَلا حَزَنٍ حَتَّى الهَمِّ يُهَمُّهُ إِلا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ» وَلَكِنْ انْظُرْ مَرَّةً ثَانِيَةً إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: مَا يُصِيبُ المُؤْمِنَ، وَهَلْ يُتَخَيَّلُ أَنَّ هُنَاكَ مُؤْمِنًا لا يُصَلِّي لِلهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ؟! إِنَّ اللهَ يُرِيدُ أَنْ يُطَهِّرَكَ؛ حَتَّى تَمْشِيَ عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْكَ خَطِيئَةٌ، فَهَلْ أَنْتَ عَلَى الدَّرْبِ سَائِرٌ إِلَى رَبِّكَ.. مُلْتَزِمٌ بِسُنَّةِ نَبِيِّكَ؟!.

---

[1] () (صحيح): أبو داود 4985، صحيح الجامع 7892.

[2] () (صحيح): البخارى 5642، مسلم 2573، الترمذى 966.

أَيُّهَا الأَصِحَّاءِ...إِخْوَانُكُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَيْكُمْ

وَأهِيبُ بِإِخْوَانِنَا أَنْ يَحْرِصُوا عَلَى زِيَارَةِ إِخْوَانِهِمُ المَرْضَى قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِم، فَسَيَجِدُونَ عِنْدَهُمْ رَبَّ العَالَمِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ؛ حَتَّى لاَ يُعَاتِبَهُمْ رَبُّهُمْ، كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ الطَّوِيلِ وَشَاهِدُنَا فِيهِ قَوْلُ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ[1]: «يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟! يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟!» انْظُرْ إِلَى مَعِيَّةِ اللهِ عِنْدَ المَرِيضِ؛ فَالمَرِيضُ مُنْكَسِرٌ، فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَجْبُرَ انْكِسَارَهُ بِهَذِهِ المَعِيَّةِ بِلاَ تَمْثِيلٍ أَوْ تَشْبِيهٍ أَوْ تَعْطِيلٍ، بَلْ لَكَ أَيْضًا فَضْلٌ عَظِيمٌ آخَرُ حَيْثُ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَيَقُولُ[2]: «إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مَشَى فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ[3]، حَتَّى يَجْلِسَ فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ؛ وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ». وَعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَأَنَّ النَّبِيَّ قَالَ[4]: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ،قَالَ: جَنَاهَا»[5] وَانْظُرْ إِلَى

---

1 () (صحيح): أحمد 8989، مسلم 2569.

2 () (صحيح): أحمد 613، البخارى 5615، الترمذى 969.

3 ()خرافة أو خريف: ثمار عظيمة من ثمار الجنة يخرفها ويجتنيها ويأكلها.

4 () (صحيح): أحمد 21868، مسلم 2568، الترمذى 967.

5 () الخرفة: ما يُخترف من النخل حين يُدرك، أفاده صاحب النهاية.

ثَوَابٍ عَظِيمٍ آخَرَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا» فَاحْرِصْ عَلَى زِيَارَةِ إِخْوَانِكَ فِي اللهِ، وَذَكِّرْهُمْ بِثَوَابِ اللهِ وَفَضْلِ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ تَفُزْ بِأَجْرٍ عَظِيمٍ -إِنْ شَاءَ اللهُ- وَتُبْعَثْ آمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال[2]: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ....وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ» فَمَا بَالُكَ بِمَنْ صَلَّى فِي المَسَاجِدِ وَحَافَظَ عَلَى ذَلِكَ؟! فَاصْبِرْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ يُفَرِّجْ هَمَّكَ وَيَجْعَلْ لَكَ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا.

يَا صَاحِبَ الهَمِّ إِنَّ الهَمَّ مُنْفَرِجُ ... أَبْشِرْ بِقُرْبٍ فَإِنَّ الفَارِجَ اللهُ

اليَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ ... لا تَيْأَسَنَّ فَإِنَّ الكَافِيَ اللهُ

اللهُ يُحْدِثُ بَعْدَ العُسْرِ مَيْسَرَةً ... لا تَجْزَعَنَّ فَإِنَّ القَادِرَ اللهُ

إِذَا بُلِيْتَ فَثِقْ بِاللهِ وَارْضَ بِهِ ... إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ البَلْوَى هُوَ اللهُ

---

[1] () (صحيح): أحمد 8331، الترمذى 2008، صحيح الجامع 6387.

[2] () (صحيح): البخارى 660، مسلم 1031، النسائى 5380.

فَتْاوَى مُهِمَّةٌ لأَصْحَابِ الابْتَلاءَاتِ [1]

وَأَخْتِمُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بِهَذِهِ الفَتْاوَى لِلشَّيْخِ الجَلِيلِ ابنِ عُثَيْمِينَ / وَهِيَ عَنْ عُقُوبَةِ تَارِكِ الصَّلاةِ/ لِتَعْلَمَ -أَخِي المُبْتَلَى- أَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ هَيِّنًا كَمَا تَظُنُّ وَيَظُنُّ مَعَكَ الكَثِيرُ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَبَعْدَهَا -إِنْ شَاءَ اللهُ-كَيْفَ يَتَطَهَّرُ المَرِيضُ وَيُصَلِّي؟ وَهَذِهِ الفَتْوَى -أَيْضًا- لِلشَّيْخِ ابْنِ عُثَيْمِينَ/- وَلَكِنْ لِلأَمَانَةِ العِلْمِيَّةِ أَوْجَزْتُهَا قَدْرَ اسْتِطَاعَتِي ؛حَتَّى لاَ أَشُقَّ عَلَى إِخْوَانِنَا أَصْحَابِ الأَعْذَارِ المُخْتَلِفَةِ؛ وَلَكِنْ مَا أَخَذْتُهُ مِنْ فَتْوَى شَيْخِنَا الفَقِيهِ يُنَاسِبُ أَحْوَالَهُم بِإِذْنِ اللهِ.. ثُمَّ يَلِي هَذَا الأَمْرَ أَمْرُ كَيْفِيَّةِ التَّطَهُّرِ؛ اسْتِعْدَادًا لِلصَّلاَةِ وَكَيْفِيَّةِ صَلاَةِ المَرِيضِ.

مَا حُكْمُ تَارِكِي الصَّلاةِ؟

تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ: مَسْأَلَةُ تَرْكِ الصَّلاةِ مَسْأَلَةٌ فِيهَا خِلافٌ وَاضِحٌ بَيْنَ العُلَمَاءِ بَيْنَ الجُحُودِ وَالتَّرْكِ وَحُكْمِ الكُفْرِ وَعَدَمِهِ، وَلِكُلٍّ مِنْهُ أَسَانِيدُهُ الشَّرْعِيَّةُ، وَالَّذِي اخْتَرْتُ بِهَا -مِنْ بَيْنِ أَقْوَالِهِم- قَوْلَ الشَّيْخِ ابْنِ عُثَيْمِينَ / رَغْمَ أَنَّهَا قَوِيَّةٌ وَمُخِيفَةٌ؛ وَذَلِكَ لِخُطُورَةِ الأَمْرِ فِي مَسْأَلَتَي تَرْكِ الصَّلاةِ وَالأَحْكَامِ المُتَرَتِّبَةِ عَلَى تَرْكِهَا، وَلَقَدْ دَعَّمَ الشَّيْخُ قَوْلَهُ بِأَدِلَّةٍ قَاطِعَةٍ مِنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّة.

وَإِلَى فَتْوَى الشَّيخِ فِي هَذَا الأَمْرِ كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ.

قَالَ الشَّيخُ: إِذَا كَانَ هَؤُلاءِ لاَ يُصَلُّونَ أَبَدًا فَإِنَّهُم كَافِرُونَ مُرْتَدُّونَ خَارِجُونَ عَنِ الإِسْلامِ، وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يُسْكَنَ مَعَهُم، وَلَكِنْ مِنْ حَقِّهِم عَلَيْنَا أَنْ نَدْعُوَهُم وَنُلِحَّ عَلَيْهِم وَنُكَرِّرَ؛ لَعَلَّ اللهَ يَهْدِيهِم؛ لأَنَّ تَارِكَ الصَّلاةِ كَافِرٌ -وَالعِيَاذُ بِاللهِ- بِدَلِيلِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَقَوْلِ الصَّحَابَةِ، أَمَّا مِنَ القُرْآنِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى عَنِ المُشْرِكِينَ: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [التوبة 11]. مَفْهُومُ الآيَةِ الكَرِيمَةِ وَاضِحٌ وَصَرِيحٌ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فَلَيْسُوا إِخْوَانَنَا، وَلاَ تَنْتَفِي الأُخُوَّةُ الدِّينِيَّةُ بِالمَعَاصِي وَإِنْ عَظُمَتْ، وَلَكِنْ تَنْتَفِي عِنْدَ الخُرُوجِ عَنِ الإِسْلامِ، أَمَّا مِنَ السُّنَّةِ: فَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2]: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكُ

---

1 () هذه الفتاوى مستفادة من فتاوى الشيخ ابن عثيمين/.

2 () (صحيح): مسلم 82، أبو داود 4678، الترمذى 2618.

الصَّلاةِ» وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ بُرَيْدَةَ[1]: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» أَمَّا أَقْوَالُ الصَّحَابَةِ: قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: (لاَ حَظَّ فِي الإِسْلاَمِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ) وَالحَظُّ: النَّصِيبُ، وَأَتَتْ نَكِرَةً فِي سِيَاقِ الكَلاَمِ؛ لِإِفَادَةِ العُمُومِ، أَيْ: لاَ نَصِيبَ قَلِيلٍ وَلاَ كَثِيرٍ.

مَا الأَحْكَامُ المُتَرَتِّبَةُ عَلَى تَرْكِ الصَّلاَةِ؟

الأَحْكَامُ المُتَرَتِّبَةُ عَلَى تَرْكِ الصَّلاَةِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

أَوَّلاً: أَنَّهُ لاَ يَصِحُّ أَنْ يُزَوَّجَ فَإِنْ عُقِدَ لَهُ وَهُوَ لاَ يُصَلِّي فَالنِّكَاحُ بَاطِلٌ وَلاَ تَحِلُّ الزَّوْجَةُ بِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى عَنِ المُهَاجِرَاتِ: {فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} [الممتحنة 10]

ثَانِيًا: أَنَّهُ إِذَا تَرَكَ الصَّلاَةَ بَعْدَ أَنْ عُقِدَ لَهُ فَإِنَّ نِكَاحَهُ يُفْسَخُ وَلاَ تَحِلُّ الزَّوْجَةُ لِلآيَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا سَابِقًا عَلَى حَسَبِ التَّفْصِيلِ المَعْرُوفِ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ قَبْلَ الدُّخُولِ أَوْ بَعْدَهُ.

ثَالِثًا: أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي لاَ يُصَلِّي إِذَا ذَبَحَ لاَ تُؤْكَلُ ذَبِيحَتُهُ؛ لأَنَّهَا حَرَامٌ، وَلَوْ ذَبَحَ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ يَحِلُّ لَنَا أَنْ نَأْكُلَهَا، فَيَكُونُ ذَبْحُهُ أَخْبَثَ مِنْ ذَبْحِ أَهْلِ الكِتَابِ.

رَابِعًا: أَنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ أَوْ حُدُودَ حَرَمِهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} [التوبة 28]

خَامِسًا: أَنَّهُ لَوْ مَاتَ أَحَدٌ مِنْ أَقَارِبِهِ فَلاَ حَقَّ لَهُ فِي المِيرَاثِ، فَلَوْ مَاتَ رَجُلٌ عَنِ ابْنٍ لَهُ لاَ يُصَلِّي (الرَّجُلُ مُسْلِمٌ وَالابْنُ لاَ يُصَلِّي) وَعَنِ ابْنِ عَمٍّ لَهُ بَعِيدٍ، مَنِ الَّذِي يَرِثُهُ؟ ابْنُ عَمِّهِ البَعِيدُ دُونَ ابْنِهِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ أُسَامَةَ[2]: «لاَ يَرِثُ المُؤْمِنُ الكَافِرَ، وَلاَ يَرِثُ الكَافِرُ المُؤْمِنَ» وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3]: «أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ» وَهَذَا مِثَالٌ يَنْطَبِقُ عَلَى جَمِيعِ الوَرَثَةِ.

---

1 () (صحيح): الترمذى 2621، النسائى 463، ابن ماجة 1079.

2 () (صحيح): البخارى 4283، مسلم 1614، أبو داود 2909.

3 () (صحيح): البخارى 6732، مسلم 1615، أبو داود 2898.

سَادِسًا: أَنَّـهُ إِذَا مَـاتَ لاَ يُغَسَّـلُ وَلاَ يُكَفَّـنُ وَلاَ يُصَـلَّى عَلَيْهِ وَلاَ يُـدْفَنُ فِـي مَقَـابِرِ الْمُسْـلِمِينَ إِذًا مَـاذَا نَصْـنَعُ بِـهِ؟ نَخْرُجُ بِهِ إِلَى الصَّحَرَاءِ وَنَحْفِرُ لَهُ وَنَدْفِنُهُ بِثِيَابِهِ، لأَنَّهُ لاَ حُرْمَةَ لَهُ وَعَلَى هَذَا فَلاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ مَاتَ عِنْدَهُ مَيِّتٌ-وَهُوَ يَعْلَمُ- أَنَّـهُ لاَ يُصَلِّي أَنْ يُقَدِّمَهُ لِلْمُصَلِّينَ الْمُسْلِمِينَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ.

سَابِعًا: أَنَّـهُ يُحْشَـرُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ مَـعَ فِرْعَـوْنَ وَهَامَـانَ وَقَارُونَ وَأُبَيِّ بن خَلف أَئِمَّةِ الْكُفْرِ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- وَلاَ يَـدْخُلُ الْجَنَّـةَ وَلاَ يَحِـلُّ لأَحَـدٍ مِـنْ أَهْلِـهِ أَنْ يَـدْعُوَ لَـهُ بِالرَّحْمَـةِ وَالْمَغْفِرَةِ؛ لأَنَّهُ كَـافِرٌ لاَ يَسْـتَحِقُّهَا لِقَـوْلِهِ تَعَـالَى: {مَـا كَـانَ لِلنَّبِـيِّ وَالَّـذِينَ آمَنُـوا أَن يَسْـتَغْفِرُوا لِلْمُشْـرِكِينَ وَلَـوْ كَـانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } [التوبة 113] انْتَهَتْ الْفَتْوَى.

كَيْفَ يَتَطَهَّرُ المَرِيضُ ؛ اسْتِعْدَادًا لِلصَّلاَةِ[1]؟

يَجِبُ عَلَى المَرِيضِ أَنْ يَتَطَهَّرَ بِالمَاءِ فَيَتَوَضَّأُ مِنَ الحَدَثِ الأَصْغَرِ، وَيَغْتَسِلَ مِنَ الحَـدَثِ الأَكْبَـرِ فَـإِنْ كَـانَ لاَ يَسْـتَطِيعُ الطَهَـارَةَ بِالمَـاءِ؛ لِعَجْـزِهِ أَوْ خَـوْفِ زِيَـادَةِ المَـرَضِ أَوْ تَـأَخُّرَ شِفَائِهِ، فَإِنَّهُ يَتَيَمَّمُ.

كَيْفِيَّةُ التَّيَمُّمِ: أَنْ يَضْـرِبَ الأَرْضَ الطَّـاهِرَةَ بِيَـدَيْهِ ضَـرْبَةً وَاحِدَةً يَمْسَحُ كَفَّيْـهِ بَعْضَـهُمَا بِبَعْـضٍ ثُـمَّ يَمْسَـحُ بِهِمَـا جَمِيعَ وَجْهِهِ، فَإِنْ لَـمْ يَسْـتَطِعْ أَنْ يَتَطَهَّـرَ بِنَفْسِـهِ فَـإِنَّهُ يُوَضِّـؤُهُ أَوْ يُيَمِّمُهُ شَخْصٌ آخَرُ..

فَإِذَا كَانَ فِي بَعْضِ أَعْضَاءِ الطَّهَارَةِ جُرْحٌ، فَـإِنَّهُ يَغْسِـلُهُ بِالمَاءِ، فَإِنْ كَانَ الْغُسْلُ بِالمَـاءِ يُـؤَثِّرُ عَلَيْـهِ مَسَـحَهُ مَسْـحًا، فَيَبُلُّ يَدَهُ بِالمَاءِ وَيُمَرِّرُهَا عَلَيْهِ؛ فَإِنْ كَانَ الْمَسْحُ يُؤَثِّرُ عَلَيْـهِ أَيْضًا فَإِنَّهُ يَتَيَمَّـمُ عَنْـهُ، فَـإِذَا كَـانَ فِـي بَعْـضِ أَعْضَـائِهِ كَسْـرٌ مَشْدُودٌ عَلَيْهِ خِرْقَةٌ أَوْ جِبْسٌ، فَإِنَّهُ يَمْسَـحُ عَلَيْـهِ بِالمَـاءِ بَـدَلاً مِنْ غَسْلِهِ، وَلا يَحْتَاجُ لِلتَّيَمُّمِ؛ لأَنَّ الْمَسْحَ بَدَلٌ عَـنِ الْغَسْـلِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَيَمَّمَ عَلَى الْجِدَارِ أَوْ عَلَـى شَـيْءٍ آخَـرَ طَـاهِرٍ لَـهُ غُبَارٌ، فَإِنْ كَانَ الْغُبَارُ مَمْسُوحًا بِشَيْءٍ مِنْ غَيْرِ جِنْسِ الأَرْضِ كَالْبُوِيَا (زَيْتِ النِّقَاشَةِ) فَلاَ يَتَيَمَّمُ عَلَيْهِ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ غُبَـارٌ؛ فَإِذَا لَمْ يَكُنِ التَّيَمُّمُ عَلَى الأَرْضِ أَوِ الْجِدَارِ أَوْ شَـيْءٍ آخَـرَ لَـهُ غُبَارٌ فَلاَ بَأْسَ أَنْ يُوضَعَ تُرَابٌ فِي إِنَاءٍ أَوْ مِنْدِيلٍ وَيَتَيَمَّمَ مِنْهُ؛ وَإِذَا تَيَمَّـمَ لِصَـلاَةٍ وَبَقِـيَ عَلَـى طَهَـارَتِهِ إِلَـى وَقْـتِ الصَّـلاَةِ الأُخْرَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّيهَا بِالتَّيَمُّمِ الأَوَّلِ، وَلاَ يُعِيدُ التَّيَمُّمَ لِلصَّـلاَةِ

---

[1] () مستفاد من فتاوى ابن عثيمين /.

الثَّانِيَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَـزَلْ عَلَـى طَهَـارَتِهِ، وَلَـمْ يُوجَـدْ مَـا يُبْطِلُهَـا، يَجِبُ عَلَى المَرِيضِ أَنْ يُطَهِّرَ بَدَنَهُ مِنَ النَّجَاسَاتِ، فَإِنْ كَـانَ لَا يَسْـتَطِيعُ صَـلَّى عَلَـى حَـالِهِ، وَصَـلَاتُهُ صَـحِيحَةٌ، وَلَا إِعَـادَةَ عَلَيْهِ، كَمَا يَجِبُ عَلَى المَرِيضِ أَنْ يُصَلِّيَ بِثِيَابٍ طَاهِرَةٍ، فَـإِنْ تَنَجَّسَتْ ثِيَابُهُ وَجَبَ غَسْلُهَا أَوْ إِبْدَالُهَا بِثِيَابٍ طَاهِرَةٍ، فَإِنْ لَـمْ يَكُنْ صَلَّى عَلَى حَالِهِ، وَصَلَاتُهُ صَحِيحَةٌ وَلَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ، يَجِبُ عَلَى المَرِيـضِ أَنْ يُصَـلِّيَ عَلَـى شَـيْءٍ طَـاهِرٍ، فَـإِنْ تَنَجَّـسَ مَكَانُهُ وَجَبَ غَسْلُهُ أَو إِبْدَالُهُ بِشَـيْءٍ طَـاهِرٍ أَوْ يَفْـرِشَ عَلَيْـهِ شَيْئًا طَاهِرًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَلَّى عَلَى حَالِهِ، وَصَلَاتُهُ صَحِيحَةٌ، وَلَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ، وَلَا يَجُوزُ لِلْمَرِيضِ أَنْ يُؤَخِّرَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا مِنْ أَجْلِ العَجْزِ عَنِ الطَّهَارَةِ، بَلْ يَتَطَهَّرُ بِقَـدْرِ مَـا يُمْكِنُـهُ أَنْ يُصَلِّيَ الصَّلَاةَ فِي وَقْتِهَا وَلَو كَانَ عَلَى بَدَنِهِ أَو ثَوْبِهِ أَو مَكَـانِهِ نَجَاسَةٍ يَعْجَزُ عَنْهَا.

كَيْفَ يُصَلِّي المَرِيضُ[1] ؟

يَجِبُ عَلَى المَرِيضِ أَنْ يُصَلِّيَ الفَرِيضَةَ قَائِمًا وَلَو مُنْحَنِيًـا أَو مُعْتَمِدًا عَلَى عَصًا أَوِ جَالِسًا أَو يُصَلِّيَ عَلَى جَنْبِهِ، فَـإِنْ لَـمْ يَتَمَكَّـنْ مِـنَ التَّـوَجُّهِ إِلَـى القِبْلَـةِ صَـلَّى حَيْـثُ كَـانَ اتِّجَـاهُهُ، وَصَلَاتُهُ صَحِيحَةٌ، وَلَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ، أَوْ صَلَّى مُسْـتَلْقِيًا أَوْ مَرْكَـعٍ وَيَسْـجُدُ فِـي صَـلَاتِهِ، فَـإِنْ لَـمْ يَسْـتَطِعْ أَوْمَـأَ بِهِمَـا بِرَأْسِـهِ، وَيَجْعَلُ السُّجُودَ أَخْفَضَ مِـنَ الرُّكُـوعِ، فَـإِنْ كَـانَ لَا يَسْـتَطِيعُ الإِيمَاءَ بِرَأْسِهِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّـجُودِ أَشَـارَ بِعَيْنَيْـهِ فَيُغْمِـضُ قَلِيلًا لِلرُّكُوعِ وَيُغْمِضُ أَكْثَـرَ لِلسُّـجُودِ، أَمَّـا الإِشَـارَةُ بِالإِصْـبَعِ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ المَرْضَى، فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ وَلَا أَعْلَمُ لَـهُ أَصْـلًا مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا مِنْ أَقْـوَالِ أَهْـلِ العِلْـمِ، فَـإِنْ كَـانَ لَا يَسْـتَطِيعُ الإِيمَـاءَ بِـالرَّأْسِ وَلَا الإِشَـارَةَ بِالعَيْنَيْنِ صَـلَّى بِقَلْبِـهِ فَيُكَبِّرُ وَيَقْرَأُ، يَجِبُ عَلَى المَرِيضِ أَنْ يُصَـلِّيَ كُلَّ صَـلَاةٍ فِـي وَقْتِهَا، فَإِنْ شَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَلَهُ الجَمْعُ بَيْـنَ الظُّهْـرِ وَالعَصْـرِ، وَبَيْنَ المَغْرِبِ وَالعِشَاءِ، أَمَّا صَلَاةُ الفَجْـرِ فَـإِنَّهُ لَا يَجْمَـعُ لَهَـا قَبْلَهَا وَلَا لِمَا بَعْدَهَا، فَإِذَا كَـانَ المَرِيـضُ مُسَـافِرًا يُعَالَـجُ فِـي غَيْـرِ بَلَـدِهِ ؛فَـإِنَّهُ يُقْصِـرُ الصَّـلَاةَ الرُّبَاعِيَّـةَ: فَيُصَـلِّي الظُّهْـرَ وَالعَصْرَ وَالعِشَاءَ عَلَى رَكْعَتَيْنِ؛ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَـى بَلَـدِهِ سَـوَاءً طَالَتْ مُدَّةُ سَفَرِهِ أَمْ قَصُرَتْ.

---

[1] () مستفاد من فتاوى ابن عثيمين .

أَبْشِرْ .فَبَابَا الأَمَلِ وَالرَّجَاءِ لاَ يُغْلَقَانِ

إِذَا وَقَعْتَ تَحْتَ وَطْأَةِ الظُّلْمِ وَالقَهْرِ فَأَرَدْتَ أَنْ تَصْرُخَ فَكَتَمَ الخَوْفُ صَرْخَتَكَ فِي أَعْمَاقِكَ، وَإِذَا تَمَكَّنَ الخَوْفُ مِنْ قَلْبِكَ فَزَلْزَلَ وُجْدَانَكَ، وَقَهَرَ كُلَّ مَعَانِي المقَاوَمَةِ فِي دَاخِلِكَ، وَأَحْسَسْتَ بِمَرَارَةِ الذُّلِّ تَطَأُ هَامَتَكَ وَتُحَطِّمُ كِيَانَكَ؛ فَاعْلَمْ -عِلْمَ اليَقِينِ- أَنَّ لِلْكَوْنِ رَبًّا؛ يَنْصُرُ المظْلُومَ؛ وَيَقْهَرُ الظَّالِمَ؛ فَقَدْ نَصَرَ اللهُ نُوحًا بِدَعْوَةٍ مُبَارَكَةٍ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ} [القمر 10] فَمَا بَالُكَ بِغَضَبِ الجَبَّارِ ذِي الطَّوْلِ وَالانْتِقَامِ شَدِيدِ العِقَابِ؟! فَقُلْ: {حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران 173] وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ تَعِيشُ فِي دَارٍ؛ لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ؛ وَإِنَّمَا هِيَ دَارُ تَقَلُّبَاتٍ وَأَكْدَارٍ وَأَخْطَارٍ، وَنِهَايَةُ المطَافِ إِمَّا جَنَّة وَإِمَّا نَار.

وَإِذَا ضَاقَتْ بِكَ الحَيَاةُ فَمَا عُدْتَ تُطِيقُ قَسْوَتَهَا وَآلامَهَا، وَإِذَا تَمَلَّكَكَ الضِّيقُ وَالضَّجَرُ فَلَمْ تَجِدْ مَنْ تَشْكُو لَهُ أَوْ يَسْمَعُكَ، فَلاَ تَيْأَسَنَّ -لَحْظَةً وَاحِدَةً- مِنْ رَحْمَةِ الله؛ فَإِنَّ كُلَّ قَانِطٍ يَائِسٍ ضَالٌّ: {وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ} [الحجر 56] وَإِذَا أَحْسَسْتَ أَنَّ الأَلَمَ يَكَادُ يَنْفَجِرُ فِي صَدْرِكَ وَتَجَمَّدَتْ العَبَرَاتُ فِي عَيْنَيْكَ، فَتَذَكَّرْ أَنَّ لَكَ رَبًّا يَسْمَعُكَ وَيُبْصِرُ حَالَكَ، وَيَقْتَصُّ لَكَ: {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [يوسف 86] وَإِذَا أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ فِي غَفْلَةٍ مِنْ أَمْرِكَ، وَأَفَقْتَ مِنْهُ عَلَى لَذَعَاتِ ضَمِيرِكَ يُؤَرِّقُكَ، فَتَذَكَّرْ أَنَّ لَكَ رَبًّا رَحِيمًا؛ رَحْمَتُهُ أَوْسَعُ مِنْ عَظِيمِ ذُنُوبِكَ: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر 53] وَإِذَا نَكَسْتَ رَأْسَكَ؛ خَجَلاً مِنْ نَفْسِكَ، وَشَعَرْتَ بِالنَّدَمِ يُمَزِّقُ فُؤَادَكَ، فَتَذَكَّرْ أَنَّ لَكَ رَبًّا غَفُورًا؛ يَسْتُرُكَ وَلاَ يَفْضَحُكَ؛ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ؛ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ هَذَا سَيَزُولُ وَيُبْدِلُكَ رَبُّكَ خَيْرًا مِنْهُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- فِي الجَنَّةِ؛ فِي يَوْمٍ لَوْ غُمِسَ أَحَدُ المؤْمِنِينَ غَمْسَةً فِي الجَنَّةِ -وَهُوَ أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً فِي الدّنيَا- فَيُقَالُ: مَا رَأَيْتُ بَلاَءً قَطُّ! يَنْسَى كُلَّ بَلائِهِ وَشَقَائِهِ بِغَمْسَةٍ وَاحِدَةٍ، سُبْحَانَ المنْعِمِ العَظِيمِ؛ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم[1]: «يُؤْتَى بِأَشَدِّ المؤْمِنِينَ ضُرًّا وَبَلاَءً، فَيُقَالُ: اغْمِسُوهُ فِي الجَنَّةِ، فَيُغْمَسُ فِيهَا غَمْسَةً، فَيُقَالُ: أَيْ فُلانُ: هَلْ أَصَابَكَ خَيْرٌ قَطُّ أَوْ بَلاَءٌ؟! فَيَقُولُ: مَا أَصَابَنِي قَطُّ ضُرٌّ أَوْ بَلاَءٌ» فَانْظُرْ بَعْدَ ذَلِكَ بِعَيْنِ قَلْبِكَ إِلَى سُكْنَى الجِنَانِ وَالفَوْزِ

---

[1] () (صحيح): أحمد 12699، مسلم 2707.

بِالحُورِ العِينِ، وَالتَّشَرُّفِ بِرُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ، فَدَارُ السَّلاَمِ هِيَ سِلْعَةُ الرَّحْمَنِ؛ دَارٌ غَرَسَهَا اللهُ بِيَدِهِ، وَجَعَلَهَا مُسْتَقَرًّا لأَحْبَابِهِ وَمَلأَهَا مِنْ رَحْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ..أَعَدَّهَا لِمَنْ؟ لِلْمُتَّقِينَ.. فَادْعُ اللهَ أَنْ تَكُونَ أَحَدَ هَؤُلاَءِ.. فَعَمَلُكَ لَيْسَ ثَمَنًا لِلْجَنَّةِ؛ إِنَّمَا هُوَ سَبَبٌ لِدُخُولِ الجَنَّةِ: {وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف 43]

غَدًا تُوَفَّى النُّفُوسُ مَا كَسَبَتْ ... وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا
إِذَا أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لأَنْفُسِهِمْ ... وَإِنْ أَسَاءُوا فَبِئْسَ مَا صَنَعُوا

فَاللَّهُمَّ أَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ؛ غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ مَفْتُونِينَ، وَثَبِّتْنَا عَلَى هَذَا الدِّينِ العَظِيمِ الإِسْلاَمِ؛ فَالإِسْلاَمُ شَمْسٌ لاَ تَغِيبُ؛ لأَنَّهُ الدِّينُ الخَاتَمُ، فَإِنْ بَرِحَتْ شَمْسُ الإِسْلاَمِ أَرْضَ قَوْمٍ أَشْرَقَتْ عَلَى دِيَارِ قَوْمٍ آخَرِينَ؛ فَمَا أَعْظَمَ هَذَا الدِّينَ الَّذِي لاَ يَغِيبُ! فَاللَّهُمَّ تَوَفَّنَا عَلَى التَّوْحِيدِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ المُتَّقِينَ فِي الدُّنيَا؛ الفَائِزِينَ فِي الآخِرَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران 185]

وأَخِيرًا .كُنْ تَقِيًّا، ولاَ تَسْتَعْجِلِ الخَيْرَ

لاَ تَهَاوُنَ فِي الصَّلاَةِ

فَتَعَلَّمْ -حَبِيبِي فِي اللهِ- كَيْفَ تَتَطَهَّرُ وَتُصَلِّي؟ حَتَّى لاَ يَغْضَبَ رَبُّكَ عَلَيْكَ، فمِنْ خِلاَلِ فَتَاوَى شَيْخِنَا نَجِدُ أَنَّ المَسْأَلَةَ -أَحْبَابِي الفُضَلاَءَ- خَطِيرَةٌ جِدًّا.. وَمَعَ الأَسَفِ الشَّدِيدِ فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَتَهَاوَنُونَ فِي الأَمْرِ، وَيُقَرِّرُونَ فِي البَيْتِ مَنْ لاَ يُصَلِّي، وَهَذَا لاَ يَجُوزُ، لاَبُدَّ وَأَنْ نُشْعِرَهُ بِارْتِكَابِهِ ذَنْبًا عَظِيمًا، يَهْوِي بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا، إِنْ لَمْ يَنْتَصِحْ وَيُدْرِكْ مَدَى خُطُورَةِ مَا هُوَ غَائِرٌ فِيهِ، وَلاَ يَكْفِي أَنْ نَقُولَ كَمَا يَقُولُ الجُهَلاَءُ: وَاللهِ هُوَ لاَ يُصَلِّي، وَلَكِنَّ قَلْبَهُ أَبْيَضُ، وَهَلْ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَنْقَى قَلْبًا وَأَعْظَمُ عَمَلاً وَمقَامًا مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟! فَلِمَاذَا لَمْ تَسْقُطْ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَالصَّلاَةُ؟! وَسَلْ نَفْسَكَ: هَلْ سَيُخَلَّدُ فِي الجَنَّةِ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ لَمْ يَسْجُدَا وَلَمْ يَرْكَعَا للهِ مَرَّةً، أَيُعْقَلُ هَذَا؟! إِنَّ المُتَكَاسِلَ السَّاهِيَ عَنْ صَلاَتِهِ لَهُ وَادٍ عَظِيمٌ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى الوَيْلَ، فَمَا بَالُكَ بِتَارِكِهَا؟! قَالَ اللهُ تَعَالَى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون 4-5]

يَا مَنْ تَرَكْتَ الصَّلاَةَ أَوْ تَسَاهَلْتَ بِهَا.. تَدَارَكْ بَقِيَّةَ عُمُرِكَ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، فَلاَ تَدْرِي كَمْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِكَ؟ هَلْ بَقِيَ شُهُورٌ أَوْ أَيَّامٌ أَوْ سَاعَاتٌ؟! فَالعِلْمُ عِنْدَ اللهِ، وَإِنَّمَا العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللهِ -كَاتِبُ هَذِهِ السُّطُورِ- نَاصِحٌ لِنَفْسِهِ وَلَكَ..

لاَ تَكُنْ مُجْرِمًا!

وَأُذَكِّرُكَ وَنَفْسِي دَائِمًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا} [طـه 74] فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَغْفُلَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ، فَتَارِكُ الصَّلاَةِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُجْرِمِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وَإِنِّي سَائِلُكَ سُؤَالاً: رَجُلٌ لاَ يَخْشَعُ وَلاَ يَرْكَعُ وَلاَ يَسْجُدُ وَلاَ يَحْفِدُ (يُسْرِعُ مُطِيعًا مُتَقَرِّبًا) إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ، فَهَلْ يَكُونُ سَوِيًّا مَعَ العَالَمِينَ؟! وَصَدَقَ الْفَارُوقُ ا إِذْ يَقُولُ: مَنْ كَانَ مُضَيِّعًا لِلصَّلاَةِ فَهُوَ لِغَيْرِهَا أَضْيَعُ..وَنَحْنُ كَثِيرًا مَا نَسْتَمِعُ لِوَصَايَا وَنَصَائِحِ الأَطِبَّاءِ..بِاللهِ عَلَيْكَ..أَلَمْ تُجَرِّبْ ذَاتَ مَرَّةٍ هَذَا العِلاَجَ النَّاجِعَ لِسَيِّدِ الأَتْقِيَاءِ وَخَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ؟! قَالَ رَسُولُ اللهِ[1] صلى الله عليه وسلم:

---

[1] () (حسن) صحيح الجامع 3358.

«دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ» فَاللهُ يَجْزِيكَ عَلَى صَدَقَتِكَ خَيْرًا! قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لَهُ: {وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} [يوسف 88]

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلاَّ وَلَهُ دَوَاءٌ

وَاعْلَمْ -يَقِينًا- أَنَّ اللهَ مَا أَنْزَلَ دَاءً إِلاَّ وَلَهُ دَوَاءٌ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ[1]: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» وَالأَدْوِيَةُ مُتَعَدِّدَةٌ.. فَمِنَ الممْكِنِ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ شِفَاءَكَ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ صَالِحٍ أَوْ فِي لَيْمُونَةٍ بِخَمْسَةِ قُرُوشٍ وَلاَ يَجْعَلُ شِفَاءَكَ فِي أَدْوِيَةٍ بِالآلاَفِ! فَسُبْحَانَ الشَّافِي العَظِيمِ، وَرَوَى البَيْهَقِيُّ[2] أَنَّ عَبْدَاللهِ بنَ المُبَارَكِ أَتَاهُ رَجُلٌ وَرُكْبَتُهُ تَنْزِفُ دَمًا، وَأَخْبَرَ عَبْدَ اللهِ أَنَّهَا تَنْزِفُ هَكَذَا مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلاَجٍ أَبَدًا وَصَفَهُ الأَطِبَّاءُ لَهُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ أَنْ يَحْفِرَ بِئْرَ مَاءٍ لِيَنْتَفِعَ بِهِ المُسْلِمُونَ؛ فَإِذَا مَا خَرَجَ المَاءُ شُفِيَتْ رُكْبَتُكَ بِإِذْنِ اللهِ، فَفَعَلَ الرَّجُلُ وَمَعَ أَوَّلِ تَدَفُّقٍ لِلمَاءِ شُفِيَتْ رُكْبَتُهُ وَجَفَّ دَمُهَا بَلْ عَادَتْ أَفْضَلَ مِمَّا كَانَتْ..

فَتَعَلَّمْ مِنْ هَؤُلاءِ الصَّالِحِينَ كَيْفَ تَتَصَدَّقُ؟! وَاعْلَمْ أَنَّ لِلصَّدَقَةِ فَوَائِدَ عُظْمَى تَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، فَأَسْأَلُكَ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ أَنْ تُجَرِّبَ هَذَا العِلاَجَ النَّبَوِيَّ الحَكِيمَ -وَلَوْ مَرَّةً- لِتَعْلَمَ بِنَفْسِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى، لَقَدْ جَرَّبْنَا كُلَّ شَيْءٍ فِي حَيَاتِنَا، وَفَشِلْنَا فَشَلاً ذَرِيعًا!! فَلِمَاذَا لاَ نُجَرِّبُ وَنَلْتَزِمُ بِتَعَالِيمِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم؟!.

عَلَيْكَ بِالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَاتِ

إِنَّ الَّذِي خَلَقَنَا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُنَا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! وَهُوَ الَّذِي أَوْحَى إِلَى نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْعِنَا، فَعَلَيْكَ بِالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ وَلاَ تُقَصِّرْ فِيهِمَا، وَلاَ تَغْفُلْ لَحْظَةً عَنْ أَيِّ عَمَلٍ صَالِحٍ فِي مَقْدُورِكَ أَنْ تَفْعَلَهُ فَافْعَلْهُ، وَلاَ تَنْدَمْ عَلَى فِعْلَةٍ، حَتَّى لَوْ صَادَفَ قَوْمًا لَيْسُوا لَهُ بِأَهْلٍ، فَأَنْتَ أَهْلٌ لَهُ، فَأَكْثِرْ مِنَ الصَّالِحَاتِ؛ فَهِيَ الأَنْفَعُ وَالأَبْقَى لِصَاحِبِهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ هُنَاكَ أُمُورًا رُبَّمَا لاَ يَظْهَرُ أَثَرُهَا المُبَاشِرُ لِصَاحِبِهَا فِي النَّوِّ وَاللحْظَةِ، وَلَكِنْ رُبَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهَا

---

1 () (صحيح) البخاري 5678.

2 () عَبْدُ اللهِ بنُ المبَارَكِ مِنْ سَلَفِنَا الصَّالِحِ، كَانَ جَامِعًا لِخصَالِ الخَيْرِ، يَحجُّ عَامًا وَيُجَاهِدُ عَامًا.

عَلَى المَدَى البَعِيدِ، إِمَّا عَلَى فَتَرَاتٍ مُتَبَاعِدَةٍ مِنْ حَيَاتِكَ أَوِ مُتَقَارِبَةٌ، وَرُبَمَا لا يَظْهَرُ لَهَا أَثَرٌ إِلاَّ بَعْدَ مَمَاتِكَ فِي أَوْلادِكَ، فَلا تَسْتَعْجِلِ الخَيْرَ، وَلَكِنَّهُ وَاقِعٌ -بإذن الله- لا مَحَالَةَ، انْظُرْ عِنْدَمَا صَاحَبَ سَيِّدُنَا مُوسَى عليه السلام العَبْدَ الصَّالِحَ الخَضِرَ فِي رِحْلَتِهِ وَخَاصَّةً عِنْدَمَا ذَهَبَ الاثْنَانِ إِلَى هَذِهِ القَرْيَةُ، فَطَلَبَا طَعَامًا فَأَبَى أَهْلُ القَرْيَةِ أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، وَمَعَ ذَلِكَ بَنَى العَبْدُ الصَّالِحُ فِيهَا جِدَارًا، فَتَعَجَّبَ سَيِّدُنَا مُوسَى عليه السلام وَقَالَ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِهِ رَغْمَ أَنَّهُ نَبِيٌّ؛ إِلاَّ أَنَّهُ بَشَرٌ: {قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا} [الكهف 77]

لَنَا وَقْتٌ نَرَى فَوْقَ السَّمَاءِ ... وَوَقْتٌ نَحْنُ فِيهِ مِثْلُ عُمْيَانِ
إِذَا مَا اللهُ لَمْ يُظْهِرْ لِعَبْدِهِ ... فَمَا أُذُنٌ وَمَا قَلْبٌ وَعَيْنَانِ

وَعِنْدَمَا عَلِمَ الحِكْمَةَ مِنْ الجِدَارِ سُرْعَانَ مَا زَالَ عَجْبُهُ، وَسَبَبُ بِنَاء الجِدَارِ -كَمَا تَعْلَمُ- صَلاحُ وَالِدِ الطِّفْلَيْنِ اليَتِيمَيْنِ، فَقَدْ وَكَّلَ اللهُ لِلأَبْنَاءِ مَنْ يَحْفَظُ لَهُمَا مَالَهُمَا، فَصَلاحُ الآبَاءِ يَنْفَعُ الأَبْنَاءَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} [الكهف 82] فَكُنْ أَحَدَهُمْ أَوْ عَلَى أَقَلِّ تَقْدِيرٍ جَالِسِ الصَّالِحِينَ دَائِمًا؛ لَقَدْ خَلَّدَ اللهُ كُلًّا بِذِكْرِهِ فِي القُرْآنِ؛ أَتَدْرِي لِمَاذَا؟! لأَنَّهُ كَانَ يُجَالِسُ الفِتْيَةَ الصَّالِحِينَ أَهْلَ الكَهْفِ!

الصَّاحِبُ سَاحِبٌ.. فَانْتَبِهْ

لَقَدْ قَالُوا قَدِيمًا: الصَّاحِبُ سَاحِبٌ، وَهُوَ كَذَلِكَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم[1]: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ، وَقَالَ مُؤَمَّلٌ: مَنْ يُخَالِلُ» وَلاَ تُذْهِبْ إِيْمَانَكَ بِسُهُولَةٍ، فَالإِيْمَانُ يَحْمِي صَاحِبَهُ وَقْتَ الشَّدَائِدِ؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَصْبُغَ نَفْسَكَ بِتَعَالِيمِ هَذَا الدِّينِ كَمَا يُصْبَغُ الثَّوْبُ.. قَالَ اللهُ تَعَالَى: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ} [البقرة 138]

كَانَ للإِمَامِ الشَّافِعِيِّ طَالِبُ عِلْمٍ صَالِحٌ، يَتَوَسَّمُ فِيهِ الخَيْرَ وَالصَّلاحَ، فَكَانَ يَقُولُ لَهُ نَاصِحًا: يَا غُلامُ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ نُورَ الإِيْمَانِ، فَلا تُذْهِبْ هَذَا النُّورَ بِظُلْمَةِ المَعْصِيَةِ.. فَادْعُ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَنْ يُبَاعِدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ المَعَاصِي

[1] () (حسن): أبو داود 4833، الترمذى 2378، أحمد 7968.

وَالذُّنُوبِ كَمَا بَاعَدَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ.

خَاتِمَةُ الكِتَابِ (دُعَاءٌ نَبَوِيٌّ مُبَارَكٌ)

وَفِي نِهَايَةِ حَدِيثِي فَإِنَّنِي أَدْعُو اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِدُعَاءِ حَبِيبِ القُلُوبِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو[2]: رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا لَكَ ذَكَّارًا لَكَ رَهَّابًا لَكَ مِطْوَاعًا إِلَيْكَ مُخْبِتًا لَكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي.. اللَّهُمَّ آمِينَ..

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

وأخيرًا تَقَبَّل اللهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ صَالِحَ الأَعْمَالِ

العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ القَدِيرِ

هانى سعد عنيم
هَاتِف مَنْزِل رَقْم/ 050 -2786397
مَحْمُول رَقْم/ 0121475973
مصر- الدَّقَهْلِيَّة- بلقاس- شَارِع سَاحِل طِعِيمَة

[2] () (حسن): أحمد 1998، أبو داود 1510، صحيح الجامع 3485.

المَرَاجِعُ

1) القُرْآنُ الكَرِيْمُ.
2) تَفْسِيرُ ابنِ كَثِيرٍ.
3) تَفْسِيرُ القُرْطُبِي.
4) تَفْسِيرُ الجَلالَيْنِ.
5) صَحِيحُ البُخَارِيّ.
6) صَحِيحُ مُسْلِم.
7) البِدَايَةُ وَالنّهايَة لابنِ كَثِيرٍ.
8) صَحِيح الجَامِع الشَّيْخ الأَلْبَانِيّ.
9) سِيَرُ أَعْلاَمِ النُّبَلاء.
10) أُسْدُ الغَابَةِ.
11) سِيْرَةُ ابْنِ هشَامٍ.
12) حَتْمِيَّةُ الابتِلاءِ لِلشّيخِ مَجْـدِي قَاسِـم.

الفِهْرس

الأَصْلُ فِي الدُّنْيَا هُوَ الابْتِلاَءُ 8
النَّعِيمُ الحَقِيقِيُّ هُوَ نَعِيمُ الجَنَّةِ الخَالِدُ العَظِيمُ 8
تَعَدُّدُ الابْتِلاَءَاتِ؛ ليَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ 10
الصَّبْرُ رِزْقٌ عَظِيمٌ 12
الصَّبْرُ مُرٌّ كَاسْمِهِ 13
الصَّبْرُ مِنْ أَعْظَمِ الأُمُورِ 13
أَوَّلاً: مَرْتَبَةُ التَّمْحِيصِ 15
ثَانِيًا: مَرْتَبَةُ التَّطْهِيرِ 16
ثَالِثًا: مَرْتَبَةُ القُرْبِ والتَّكْرِيمِ وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ 17
الصُّورَةُ الأُولَى: هَلاَكُ الظَّالِمِينَ 19

الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ: هَلاَكُ الظَّالِمِينَ وَالصَّالِحِينَ 19
1- إِرْجَاعُ العِبَادِ إِلَى اللَّهِ 21
2- لُزُومُ المبْتَلَيْنَ الاسْتِغْفَارَ 22
3- رِفْعَةُ المكَانَةِ وَالتَّأْهِيلُ لِعَمَلِ الخَيْرِ 23
4- الانْكِسَارُ وَالخُضُوعُ للَّهِ 23
5- إِظْهَارُ المحِبِّ مِنَ المبْغِضِ 24
6- الشُّعُورُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى 25
7- تِلاَوَةُ القُرْآنِ وَفَهْمُ بَعْضِ مَعَانِيهِ 25
8- مَحْوُ الخَطَايَا وَالذُّنُوبِ 26
9- تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ الكَامِلِ للَّهِ 28
10- القُرْبُ مِنَ اللَّهِ وَالثَّبَاتُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى المَمَاتِ

..... 30
الأَوَّلُ: نِسْبَةُ النِّعْمَةِ إِلَى المنْعِمِ
..... 32
الثَّانِي: عَدَمُ الانْشِغَالِ بِالنِّعْمَةِ عَنِ المنْعِمِ
..... 32
الثَّالِثُ: عَدَمُ التَّكَبُّرِ بِالنِّعْمَةِ عَلَى النَّاسِ
..... 33
الرَّابِعُ: إِعْطَاءُ الحَقِّ مِنْهَا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ
..... 33
الخَامِسُ: الثَّنَاءُ عَلَى المنْعِمِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ قَوْلاً وَفِعْلاً
..... 33
اللهُ يَبْتَلِي عَبْدَهُ؛ لِيُهَذِّبَهُ لا لِيُعَذِّبَهُ
..... 34
الفَرْقُ بَيْنَ العُقُوبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَالعُقُوبَاتِ القَدَرِيَّةِ
..... 34
لَيْسَتْ ظَوَاهِرَ طَبِيعِيَّةً وَلَكِنْ..!
..... 35
الابْتِلاَءُ اخْتِبَارُ وَالعُقُوبَةُ هِيَ الجَزَاءُ المعَجَّلُ
..... 36
الابْتِلاَءُ وُقُوفُ أَمَامَ الأَسْبَابِ، وَالعُقُوبَاتُ نَاتِجَةٌ عَنِ الانْحِرَافِ..... 36

الابْتِلاَءُ مَرْجِعُهُ الاسْتِقَامَة، أَمَّا العُقُوبَةُ فَمَرْجِعُهَا إلى زِيَادَةِ الفِسْقِ..... 37
الابْتِلاَءُ طَرِيقٌ للتَّمْكِينِ؛ بَيْنَمَا العُقُوبَةُ حِرْمَانٌ مِنْهَا 37
الابْتِلاَءُ قَائِمٌ عَلَى حُبِّ اللهِ، والعُقُوبَةُ عَلَى غَضَبِهِ 37
الابْتِلاَءُ يَجْمَعُ الأُمَّةَ، وَالعُقُوبَةُ سَبَبٌ فِي تَشْتَيتِهَا 38
الابْتِلاَءُ يَحْتَاجُ إِلَى تَقْوَى وَصَبْرٍ، وَالعُقُوبَةُ إِلَى تَوْبَةٍ وَاستِغْفَارٍ..... 38
أَوَّلاً: الجَزِعُ 39
ثَالِثًا: الرَّاضِي 40
رَابِعًا: الشَّاكِرُ 41
اثْبُتْ عَلَى الإيْمَانِ، وَاعْتَصِمْ بِاللَّهِ 44
اهْتَدِ بِهَدْيِ نَبِيِّكَ سَيِّدِ الأنَامِ 44
لِمَنْ تَشْكُو؟! 44

.....
45
الأَمْرُ لَيْسَ لِوَلِيٍّ وَلاَ لِنَبِيٍّ
.....
45
اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي
.....
47
صَبْرُ أُمِّ المؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ
.....
47
أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟!
.....
49
إِنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ
.....
50
نُمُوذَجٌ مِنَ العَصْرِ الجَاهِلِيِّ!
.....
51
مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ اللَّهِ؟!
.....
52
الأُمُورُ كُلُّهَا بِيَدِ اللَّهِ
.....
53
اسْتِبْطَاءُ النَّصْرِ وَالإِجَابَة نَوْعٌ مِنَ الابْتِلاَءِ
.....
53
نَمَاذِجُ مِنْ صَبْرِ الأَنْبِيَاءِ (صَبْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ)
.....
55

صَبْرُ نَبِيِّ اللَّهِ يَعْقُوبَ
.....
58
يَا مَنْ فَقَدْتَ عَزِيزًا.. رَسُولُ الله يُبَشِّرُكَ
.....
60
بَلاَغَةُ أَعْرَابِيٍّ
.....
60
اللهُ يُعَوِّضُكَ خَيْرًا مِنْ مُصِيبَتِكَ
.....
61
بَشَائِرُ عَظِيمَةٌ لِلنِّسَاءِ الثَّكَالَى
.....
62
احْتِسَابُ الوَلَدِ عِنْدَ اللهِ يُثَقِّلُ الميزَانَ
.....
62
لاَ تَيْأَسْ.. فَاللهُ يَأْجُرُكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ
.....
63
بِشَارَةٌ لِمَنْ مَاتَ خَارِجَ البِلاَدِ
.....
63
ارْضَ بِاللَّهِ رَبًّا يَرْضَ عَنْكَ عَبْدًا
.....
65
عَلَيْكَ بِثَلاَثَةٍ!
.....
65
يُبْتَلَىٰ الأَخْيَارُ؛ لِسَبَبَيْنِ.. فَمَا هُمَا؟!

.....
66
لاَ تَقْتُلْ نَفْسَكَ!
.....
67
هَذَا أَمْرٌ جَلَلٌ؛ فَاحْذَرْهُ
.....
67
نِعْمَ العَبْدُ؛ إِنَّهُ أَوَّابٌ
.....
68
مَا أَكْثَرَ الأَزمَاتِ هَذِهِ الأَيَّامَ!
.....
70
الحَيَاةُ كُلُّهَا أَقْدَارٌ
.....
71
الشَّرُّ لاَ يُنْسَبُ للَّهِ
.....
74
اللَّهُ -وَحْدَهُ- يَعْلَمُ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ
.....
75
مَا حُكْمُ تَارِكِي الصَّلاةِ؟
.....
82
مَا الأَحْكَامُ المُتَرَتِّبَةُ عَلَى تَرْكِ الصَّلاَةِ؟
.....
83
كَيْفَ يَتَطَهَّرُ المَرِيضُ ؛ اسْتِعْدَادًا لِلصَّلاَةِ()؟
.....
84

كَيْفَ يُصَلِّي المَرِيضُ() ؟ 85
لاَ تَهَاوُنَ فِي الصَّلاَةِ 88
لاَ تَكُنْ مُجْرِمًا! 88
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلاَّ وَلَهُ دَوَاءٌ 89
عَلَيْكَ بِالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَاتِ 89
الصَّاحِبُ سَاحِبٌ.. فَانْتَبِهْ 90
خَاتِمَةُ الكِتَابِ (دُعَاءٌ نَبَوِيٌّ مُبَارَكٌ)..... 91
الفِهْرس..... 93

كُتُبٌ أُخْرَى صَدَرَتْ - بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ- لِلمُؤَلِّفِ

فِي المَجَالِ اللُّغَوِيِّ

1) أَشْهَرُ الأَخْطَاءِ اللغَوِيَّةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا الدُّعَاةُ وَمُحِبُّو اللغَةِ العَرَبِيَّةِ.

2) فُنُونٌ وَلَطَائِفُ لُغَوِيَّةٌ مِنْ رِيَاضِ لُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ.

فِي المَجَالِ الإِسْلاَمِيِّ

1) رَمَضَانُ ذَلِكُمُ الشَّهْرُ الفَضِيلُ وَضَيْفُ اللهِ الجَلِيل.

2) مَاذَا بَعْدَ رَمَضَانَ؟! .

3) تَذْكِرَةُ المُسْلِمِينَ بِمَنْزِلَةِ وَطَاعَةِ النَّبِيِّ الأَمِينِ .

4) الابْتِلاءُ تَطْهِيرٌ وَنِعْمَةٌ مِنْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

5) التَّقْوَى جُنَّةٌ ... وَطَرِيقُكَ إِلَى الجَنَّةِ.

6) الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ.

7) الرَّحْمَةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَحَيَاةِ سَلَفِ الأُمَّةِ.

8) الاسْتِغْفَارُ مِنْ كِتَابِ رَبَّنَا الغَفَّارِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الأَبْرَارِ.

9) أُرِيدُ أَنْ يَرْحَمَنِي اللهُ، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟!

10) هَذَا رَسُولُ اللهِ (الرَّحْمَةُ المُهْدَاةُ).

11) مِنْ فَضَائِلِ الإِسْلاَمِ .. الأُخُوَّةُ وَصِلَةُ الأَرْحَامِ.

12) أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ تَقِيًّا ... فَمَاذَا أَفْعَلُ؟!

13) الصَّلاةُ .. طَوْقُ النَّجَاةِ.

14) الوَالِدَانِ.. وَحَقُّهُمَا مِنَ القُرْآنِ وَسُنَّةِ سَـيِّدِ الأَنَامِ.

سَيَصْدُرُ قَرِيبًا لِلمُؤَلِّفِ -إِنْ شَاءَ اللهُ- كِتَابُ:

(أَسْرَارٌ لُغَوِيَّةٌ وَدَلاَلاَتٌ لَفْظِيَّةٌ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ)

كِتَابٌ يَتَحَدَّثُ عَنِ الإِعْجَازِ اللُّغَوِيِّ فِي القُـرْآنِ، وَيَكْشِـفُ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ لُغَةِ القُرْآنِ بِالأَدِلَّةِ.

وَتَقْرَأُ فِيهِ المَبَاحِثَ الآتِيَةَ:

أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ؟!

أَسْمَاءُ القُرْآنِ.

مُدَاوَمَةُ تِلاوَةِ القُرْآنِ مِنْ عَلامَاتِ الإِيمَانِ.

الْتِزَامُ الأُسْلُوبِ الرَّاقِي فِي القُرْآنِ.

كَلِمَاتٌ لَزَمَتْ حَالَةً وَاحِدَةً فِي القُرْآنِ.

مَـا تَظُـنُّ أَنَّـهُ مُتَـرَادِفٌ المَعْنَـى، وَلَيْـسَ مِـنَ المُتَرَادِفِ.

مَوَاضِعُ الآيَـاتِ المُتَشَـابِهَاتِ فِـي القُـرْآنِ وَسَـبَبُ ذَلِكَ..

هَكَذَا قَالَ اللهُ فِي القُرْآنِ .. فَلِمَاذَا؟!

فِي رِحَابِ القُرْآنِ (مَعْلُومَات مُهِمَّة).

آيَاتٌ كَرِيمَةٌ جَرَتْ مَجْرَى الأَمْثَالِ.

كُلِّيَّاتٌ مُسْتَنْبَطَةٌ مِنَ القُرْآنِ.

وَمَبَاحِث أُخْرَى مُفِيدَة إِنْ شَاءَ اللهُ.

منبر التوحيد والجهاد

* * *

:ptth
:ptth
:ptth
:ptth
:ptth